رواية

وَرْد

الجوهرة الرمال

ضياء
t.me/twinkling4

وَرْد

الجوهرة الرمال

ح مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الرمال، الجوهرة ركيب
ورد. / الجوهرة ركيب الرمال- ط ١ - الدمام، ١٤٤٤ هـ
ردمك: ٤-٢٠-٨٣٤٦-٦٠٣-٩٧٨
١- القصص العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٠٣٩٥٣١، ٨١٣ ١٤٤٤
ردمك: ٤-٢٠-٨٣٤٦-٦٠٣-٩٧٨

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب – شروق مجدي

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني:

Www.Adab-Book.Com

مركز الأدب العربي

@Services_Book

@ServicesBook1

مركز الأدب العربي

adabarabic7

services_book@outlook.sa

مسؤول النشر:

للتواصل

0597777444

المملكة العربية السعودية - الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي

00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي **00971569767989**

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي **00201120102172**

الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر.

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر.

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:
شروق مجدي.

أشرف غالب.

الإهداء

إلى أفضل نسخة من (نفسي).

«لن تحصل أبدًا على شيءٍ كامل

ستحصل على أشياء ناقصة تكتمل برضاك»

الشيخ الشعراوي

إن كنت لا تتذكر من أنت!

تجهل تاريـخ ميلادك واسمك ولأي حضن تنتمي!

وتجد نفسك محاطًا بكمٍّ من الأسئلة التي لا تودُّ البحث عن إجاباتٍ لها

تريد فقط أن تهدأ..

لتتعرف على نفسك من جديد

ودون مساعدة من أحد.

فاتبعني إذاً..

فالحياة واحدة ونحن جميعنا نتشابه.

النهاية

لنبدأ من حيث ينتهي الجميع...

من النهايات التي تظن أنها ستكون سعيدة وربما هي كذلك، النهايات التي تكشف لك ماذا خلف الوجوه الباردة والضحكات المصطنعة والأكاذيب القصيرة والحياة التي ركضت فيها بالاتجاه الخاطئ.

ركضت حينما كان ينبغي عليك التوقف لكنك كنت تحضن قلبك وتلهث عطشًا، تتبع سرابًا لا تدري متى يقف لتلحق به!

نحن لا نملك نافذةً للسماء تكشف لنا المغيَّبات، نحن أبسط من أن نكون أشخاصًا لهم أحلام وردية يسعون لتحقيقها.

نحن نؤمن بالمصادفة ونتمسك باللحظة ونبكي عندما نتعثر ونصيح عندما نتوجع ونشتكي لأنفسنا عندما نصاب بالأرق،

نحن نسهر من أجل أن نفكر بكل شيء دون قصد، كل شيء يتدلى أمامنا وكأن الذكريات تطفو على سطح أحلامنا

وعندما نغفو نتنهد، نشعر بلذة النعاس، نحتضن الوسادة وكأنها الملاذ الأخير..

نحن يا سادة، معشر القلوب التي تحب بنقاء وتعطي بصدق ولم تتعلم الكذب بمشاعرها بعد.

لقد وصلت وتعرفت على كل شيء إلا نفسي! فشكرًا لذاكرتي العمياء التي أفقدني إياها القدر

شكرًا للعمة أم سعد التي حاولت أن تضرب بجذوري في منزلها لتزرعني من جديد

شكرًا لمها التي بقيت صديقتي وتحاول حرث ذاكرتي وصدقت كل شيء حتى أكاذيبها البيضاء

شكرًا لحياة الفتاة التي ظلت عالقة بالماضي وتثأر منّا.

شكرًا لأحمد الرجل الذي منحني درسًا علمني الكثير، درسًا لا ينسى

لقد جمعت كلَّ فتات الأيام، لأقترب أكثر من الوجوه التي حاولتُ التعرف عليها وليتني لم أفعل، بعض الحقائق تتمنى لو بقيت مجهولة لك، وتدع الأقدار تكشف لك ما تكشف منها.

خذوا ما شئتم...

واتركوا لي ورد، لقد جاهدتُ من أجل هذه العودة

التي كان ثمنها روحي.

الفصل الأول

(ما بين الحقيقة والحقيقة واقع لا تتمناه)

اليوم الثاني عشر من شهر أغسطس الساعة الرابعة فجرًا

صوت نبضات قلبي أسمعه جيّدًا، وربما هو صوت تخطيط القلب، عاليًا ويتردد بانتظام، هواء بارد يضخ بأنفي، يتدفق بشكل هادئ ودون توقف ، ألم بالرأس لا مكان محددًا له ولكنه يلف رأسي بالكامل كصداع لم ينفك عني أو كأن شيئًا سقط عليه للتوّ.

عيناي ثقيلتان ورطبتان فتحتهما ببطء.. إنارة خافتة بالغرفة، الرؤية غير واضحة تمامًا كأيِّ شخص يستيقظ من نوم عميق هناك ساعة دائرية كبيرة أمامي تشير للساعة الرابعة وربما الخمسين أو ما يزيد من الدقائق لم أستطع تحديد الوقت.. أشعر بتعب ولا يزال الألم يعصف برأسي، تلفَّتُّ بالمكان لعلي أعرف أين أنا، ثمّةَ شاشة تلفاز مشتركة يظهر لي نصفها فقط، والنصف الآخر للجزء الآخر من الغرفة، ستائر زرقاء حول سريري الذي أنام عليه الآن وستائر مثلها بجانبي وكأنها غرفة واحدة تحوي أشخاصًا غيري.. لم أكن أعرف لمَ أنا هنا يبدو أنه مستشفى هل هذا الثقل والتعب الذي أشعر به هو سبب وجودي هنا؟

حاولت النهوض دون فائدة فالكثير من الأسلاك موصولة بي، ثم إني أحتاج إلى من يناولني يده لأنهض.

أسمع صوت إحداهن قادمة تتحدث بلغة لم أميزها بعد، تجر معها عربة بها جهازٌ صغير، ناديتها لأعرف لمَ أنا هنا!

نهضت برأسي ونصف جسدي وسألتها:

- لو سمحتِ..

أقولها بصوت بُحَّت حنجرته - لمَ أنا هُنا؟

صامتة هي!

- منذ متى؟

أكمل شطر سؤالي الذي أقطعه لأن حنجرتي لا تقوى على نفس أطول

أسند رأسي من جديد وأقول:

- رأسي يؤلمني بشدة، أحتاج لعلاج مسكن الآن...

تبتسم وهي تمسك بيدي وتكمل عملها لتأخذ المؤشرات الحيوية، تخرج ورقة مطوية وتفتش عن قلمها الأزرق الجاف وتسجل في ورقة ما تقرؤه من الجهاز الذي أمامها بخانة مليئة بالأرقام، وتدسّها في جيبها الجانبي من جديد.

تربّت على فخذي وهي تهم بالخروج

ثم تقول:

الحمد لله على سلامتك ورد.. الحمد لله كل شيء بخير الآن.

ورد!

من هي ورد

أول سؤال سألته لنفسي قبل أن أعي حجم الكارثة الروحية التي أنا بها الآن.

لا أعرف لم شعرت بعطش شديد، وصداع يفتك بي فوق ما كنت أشعر، معلقة عيناي بالسقف لأحاول تذكر أي شيء عني، أفرك رأسي وأضرب جبهتي أحاول أن أستدعي كلَّ ذكرياتي من اللاوعي، من ذاكرتي الطويلة الأمد من أي مكان كان، أريد أن أتذكر أي شيء عني، عن الأشياء التي حولي.

اسمي ورد

ثم ماذا؟

من هو والدي؟ تتمة اسمي، من المرأة التي أنجبتني؟ من هي أمي؟!

هل لدي إخوة أو أخوات، أبناء وبنات؟

زوج أو صحبة...

أصدقاء، أقارب، معارف!

لا بد أنَّ هناك من يفتقدني الآن، من يبحث عني، ثم من جاء بي إلى هنا؟

إذًا لا بد أنه ينتظرني وربما سيزورني في الصباح، نعم سيزورني ويخرجني من هنا، أعض على شفتي وأحتضن نفسي وأسالني مرة أخرى من تكونين يا أنتِ!

نوبة دمع راجفة كمثل نوبة الهلع الصامت الذي لا حيلة لك منه إلا الدمع دون صوت، أخذتني مخيلتي الخالية من الأسماء والوجوه إلى ما هو أسوأ من وضعي، ربما تخلّى عني أحدهم لهذا أنا هنا! وربما أفتقد

لأجزاء من جسدي وأعييتهم تعبًا في مداراتي ومراعاتي، ربما هناك شيءٌ حصل... وبالتأكيد هناك ما هو حاصل.

أزحت الغطاء عني أتفقد رجليَّ وجسدي وهل أنا قادرة على الحركة أم لا، أم أن ما أملته عليَّ تخيلاتي كان صحيحًا، وضعت قدميَّ المنتفضتين على الأرض، كانت بادرة جدًّا ولكن ليست ببرودة أطرافي التي ترتجف خوفًا ورهبة

ليست بصعوبة مشاعر التشتت والتوتر التي أمر بها..

أحتاج من يسندني، أشعر أنني سوف أسقط في أي لحظة وربما أتبخر في السماء.

أشعر أنني سأطفو كأي قطعة رخوة شفافة فوق سطح الماء.

مشيت خطوتين باتجاه الستارة التي تفصلني عن شركاء غرفتي هذه، الرؤية ضبابية وكل شيء يتكرر مرتين أشعر أني بداخل دوائر لا تنتهي، ترددت بفتحها وربما بالسيطرة عليها وعلى توازني وما زلت أقول لنفسي: ربما أنا بحلم وسأصحو الآن.. يدي ترتجف ملامحي شاحبة، لا أعرف كيف تبدو ملامحي ولكني أشعر بتعب كافٍ لإظهار هذا الجهد على وجهي..

أزحتها بأطراف أصابعي... وإذا بعجوز ترقد وتغطّ في نوم عميق ومعها شابّة متكورة فوق كرسي جلدي صغير ونائمةٌ أيضًا، يبدو لي أنها مرافقة هذه السيدة العجوز، رجعت بنظري سريعًا لأتفقد سريري هل بجانبه كرسي جلدي مثل هذا؟!

لعل هناك مرافقًا لديَّ وسيعود بعد قليل، لكن لا وجود لكرسي ولا أثر لأحد كان معي.

عدت أدراجي ببطء شديد وجلست على طرف السرير وبدأت أبكي بصوت خفي ثم أجهشت بالبكاء. لا أحد يسمعني ولا حتى الفتاة التي بجانبي أو العجوز.. ربما ظنوا أنّ بكائي لوجع بجسدي، ما عرفوا أن العلة بالروح!

يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد

*الأندلسي

أسمع صوت عقارب الساعة وكأنه يدور بداخل رأسي.. لقد بكيت كثيرًا حتى غفوت، لم أحلم بشيء وكم كنت أتمنى هذا، أن يطلَّ أحد الوجوه بمنامي لعلي أتعرف على نفسي وربما لأسألها من أكون.

صوت سعال العجوز يعلو، وأصوات المارة خارج الغرفة أيضًا بدأت تزداد عندما كان يخيل لي أن أحدهم سيدخل غرفتي الآن، سيأتي من يأخذني ومع كل صوت يبتعد أشعر بنوبة من الهلع.. لقد كنت أشعر بدقة وقوة وحدة كل صوت يمر حتى إني أكاد أحفظ أصوات المارة من أقدامهم..

حاولت جاهدة أن أطفئ الأصوات بسدّ أذنيَّ دون فائدة، حاولت إخراس أقدامهم التي تخذلني بالابتعاد.. حتى تملكتني نوبة صراخ وبدأت أصرخ بصوت عال، عالٍ ليسمعه كل من يعرفني لعله يأتي.

لم أجد سوى مجموعة من الممرضات بلباسهن الموحد وتشابه ملامحهن حولي وبينهن وجه واحد مختلف، فتاة تضع حجابها على

رأسها وشعرها الأسود يتدلى بضفيرة بجانب رقبتها تقضم أظافرها خوفًا وعيناها حزينتان لحالي.. أمسكت بها من ثوبها ثم أمسكت كفيَّ وتشبثت بكفيها ثم تسلقت يديّ لأكتفها وكأني أتشبث بها أرجو النجاة.

سألتها: من أنا؟

من أكون؟

من جاء بي إلى هنا؟

أرجوك أحتاج أن أعرف؟

كنت أسألها وأنا أجهش بالبكاء بصوت الخائف الذي وجد نفسه فجأة في الظلام..

والممرضة تجهز إبرة وتمسح على كتفي لتضعها..

أمسكت الفتاة بيدي وحاولت تهدئتي بكلماتها وصوتها الهادئ..

- سأخبرك بكل شيء

كل شيء أعرفه

ثم تلاشى صوتها، أراها أمامي دون أن أسمع شيئًا، كنت أريد أن أقول: أنا لا أسمعك لكن أظلم كل شيء فجأة، لقد دخلت في نوم عميق من جديد بسبب الإبرة المهدئة، لا أحتاج لها، أنا فقط أحتاج من يخبرني من أكون.

الساعة الرابعة فجرًا

فتحت عينيَّ مرة أخرى لقد مضى ساعة وربما ساعتان وربما يوم، لا أعرف تحديدًا، صحوت وأنا ليس لي شاغل إلا الحديث الذي لم أنصت إليه وأبعدوني عنه بالمهدئ، لقد حاولت أن أكون هادئة أكثر حتى لا تغزو إبرهم جسدي مرة أخرى ولا أغيب عن الحقيقة فرأسي مشتعل بالأسئلة.

أزحت الستارة لأذهب للفتاة التي كانت تمسك هاتفها وهي صامته تقلّب به ليمضي الوقت

همست لها

- أكملي

رفعت رأسها تبسمت وقالت:

- حمداً لله على سلامتك...

اسمي وجدان بالمناسبة

أشرت برأسي أن نعم وتبسمت دون أن أنوي الابتسام لقد كنت أرد لها ابتسامتها وأتظاهر بلطف لا أكثر.

- أكملي أرجوك...

أقول لها حتى لا تبدأ بمقدمات لا تعني لي شيئًا، أخذتني لنجلس على سريري حتى لا تزعج والدتها بصوت حديثنا

- أنتِ هنا منذ أيام فقط.. أعرف أنك نجوتِ من حادث مروع ولحسن حظك أنك على قيد الحياة مع القليل من الكدمات فلقد عرفت أن الرجل الذي كان معك قد توفاه الله.

أنظر لها وأشعر أنها تروي لي قصة من نسج خيالها، وأنتظر النهاية التي تصل لها لتخبرني أنها قصة وتتمنى لي نومًا هانئًا.

لم أقاطعها كنت أريدها أن تكمل فقط.

- ثم ماذا؟

أسألها بعد أن صمتت وكأن لا شيء بعد يذكر! تجيب:

- لا أعرف

كيف لا تعرفين؟

أنا هنا منذ أيام أليس هذا ما قلتِه لي؟!

تنظر لي وتمسك بيدي مرة أخرى وتقول:

- هذا ما أعرفه فقط.

تناديها العجوز مرة أخرى تلتفت لها وتنهض

- أمي بحاجتي الآن هي تفتقدني إن لم ترني بجانبها، كوني بخير

قالتها لي وأفلتت يدها وذهبت.

وتركت لي ألف تعجب وألف تنهيدة تبحث عن مخرج.

الفصل الثاني

(بداية الفقد هي بداية الشعور بالضياع)

من فقدت؟ من ذاك الرجل الذي كان معي وتوفاه الله؟ لماذا ذهب هو وأخذ ذاكرتي معه؟ كيف نجوت بجسدي وبذاكرة عمياء! ما القدر الذي جعلني بعد كل هذا أحيا لأواجه كل هذه الأسئلة وبيوم واحد؟ كيف لي أن أجد الإجابة ليس فقط على أسئلتي بل على ذاكرتي الضائعة والتائهة عني؟ هل الطب قادر على هذا! لا أريد شيئًا يا ألله سوى ذاكرة تعود لي، كيف لا أضيع عقلي وما تبقى مني! أقولها وأنا أرفع رأسي للسماء أتوسل إلى الله بكل ما أوتيت من خيبة.

كل هذا كان حديثًا بنفسي مزدحمًا بالكثير بداخلي، كان لا بد أن أعرف بنفسي، كل الإجابات التي عرفتها كانت بمثابة قطرات لأرض قاحلة جدًّا.

خرجت من غرفتي لأطلب المساعدة التي عجز طاقم التمريض أن يقدمها لي أو حتى أن يفهمني وأنا أتحدث بلغة واحدة لم يفهمها أحد منهم، فجميعهم بجنسيات مختلفة غير ناطقة بالعربية ثم هذا التشويش برأسي يجعلني غير قادرة على الشرح أكثر أشعر أن ذاكرتي تحاول أن تخبرني بشيء ما وأنا منصتة لها أكثر من إنصاتي لمن حولي.

كنت أريد مقابلة الدكتور المشرف على حالتي.. ولقد أخبروني أنه سيأتي وبكل يوم كانت الإجابة ذاتها أنه سيمرّ ويأتي، حتى قررت أن أخرج من نطاق غرفتي لأسأل أي شخص آخر، خرجت برأسٍ معصوب وشعر متناثر وقميص طويل ذي لون واحد، أجر بيدي عربة المغذي الذي يتصل بالوريد، حيث إني رفضت الطعام ولم أتناوله منذ أيام.

دوار شديد أشعر به ورغبة بالتقيؤ، ورغم هذا واصلت خطواتي المتثاقلة لأصل إلى الممر الخارجي، اختلطت كل الألوان أمامي وضبابية غشَّت عينيَّ، حاولت أن أفركهما ولكن يدي لم تكن قادرة على الوصول.

لم أشعر بشيء بعدها.

وجدت نفسي مرة أخرى ممدَّدة على السرير ويد الدكتور تشد على معصمي ليتفحص نبضات قلبي.. ما أن رأيته حتى بدأت بالبكاء

فقال:

اهدئي كل شيء على ما يرام يا ورد.

ما كان يجب عليك النهوض والخروج دون مساعدة فوضعك لا يسمح بهذا.

أمسكت بيده متوسِّلة:

- أرجوك دكتور من أتى بي إلى هنا؟

هل سيعود؟

هل لي مكان غير هذا؟

من الذي كان معي ومات؟

هز برأسه وقال:

هذا ما كنت أخافه قد حصل، فقدان ذاكرة نتيجة لفقدك للأكسجين لفترة معينة وموت الآلاف من خلايا الدماغ المسؤولة عن الذاكرة.

ثم أردف: لا تقلقي ربما يكون جزئيًّا وستعود لك ذاكرتك، وربما لا..

الحمد لله أنك بخير فلقد كان الحادث مروّعًا... لم تصابي بخلل بالدماغ أو حتى كسور بالغة أو فقدان لأحد أعضاء جسدك

تحتاجين لمراقبة أكثر وبقاء تحت الرعاية الطبية لأيام فقط ثم تعودين للمنزل.

سقطت دمعة من عيني

وسألته مرة أخرى:

من أكون؟

وأين هو ذاك المنزل الذي سأعود له؟

من سيأتي ويأخذني

ربَّت على كتفي وبدأ يعطي توصياته المشددة لطاقم التمريض وترك كل الأسئلة معلقة تنتظر الرد.

(ذاكرة جسدية)

تخيل أن عمرك يبدأ من لحظة ما.. لحظة أنت واعٍ جدًّا لها، بالغ وعاقل، وشخص مستقلٌّ بروحه ولا يحتاج لمن يعلمه كيف يخطو وكيف يتكلم وكيف يستخدم يده اليمنى بالأكل، شخص لا تحتاج لتمسك يده لتعلمه أول الحروف ولا كيف تتعامل مع الآخرين.. كيف تنتقي كلماتك وكيف تبدو لطيفًا وكيف تحافظ على خصوصيتك ولا حتى كيف تعتذر عن خطأ.

شخص على جاهزية كاملة للحياة.. ولكنه بدون ذاكرة، بدون ذكريات وبمعنى أصح بدون ماض أثَّر عليه أو ترك ندبة بداخله أو تراكمات داخلية خلقت منه شخصًا انطوائيًّا ومنعزلًا وربما أمورًا أخرى..

دون ذاكرة مبهجة دفعت بأحلامه للمضي قدُمًا وجعلته يحقق نجاحات متتالية على إثرها.

بلا ذاكرة أي لا يتذكر سوى اللحظة التي بدأ فيها يستكشف نفسه ويسأل عن اسمه وعمره وربّما لأيِّ عائلة ينتمي،

كم ترتيبه بين إخوته وكم صديقًا له وكم عدد الأشخاص الذين قطع علاقته تمامًا بهم؟

كم عمر آخر فاجعة مرّت به؟

وكم عمر آخر قصة فرح لا تنسى؟

ألم تدرك معي كم هو مفجع أن تكون بلا ذاكرة، ربما يبدو هذا شيئًا مألوفًا وتجربةً تود خوضها لتخرج من نطاق ضيق لرحاب الحرية! وبلا مسؤوليات.!

لقد عرفت الآن أنَّ عمري خمسة أيام وأن اسمي ورد

ثم ماذا؟

ذاكرة خالية تمامًا لشخص في العقد الرابع من عمره.

اليوم التاسع عشر من شهر أغسطس

مدينة الرياض

الساعة الرابعة والنصف عصرًا

لقد مر أسبوع كامل.. بدأتُ أتعافى تدريجيًا لقد خفّ الصداع وأيضًا الآلام التي سببتها لي الكدمات البسيطة.. لقد خرجت العجوز منذ الأمس وظل سريرها شاغرًا.. لم يكن هناك حوار مع ابنتها وجدان سوى أنها لا تعرف أكثر مما ذكرته لي.. لقد تجنبت صداقتها، ف أنا لا أعرف نفسي جيّدًا فكيف أوَرِّط أشخاصًا بي، كانت تخبرني أنّي شخص لطيف جدًّا وحزين، أتعجب كيف لها أن تحكم على كوني لطيفة وأنا لم أبتسم قط ولم أفتح أي حديث جانبي سوى سؤالي المتكرر الدائم عمّا تعرف عني، بالطبع أبدو شخصًا حزينًا عندما عرفت من أحضرني إلى هنا ولم أعرف بعد من هو، هل هو أخي أو والدي، أو صديق العائلة، لقد عرفت أن سبب عدم زيارتهم هو الظرف الذي تمر به العائلة حيث توفي ابنهم معي في الحادث نفسه..

مؤلم ألا تشعر بشيء في الوقت الذي يتوجب عليك هذا.

لقد طلبت منهم ورقة وقلمًا لأكتب كلّ شيء عرفته، كنت أخشى أن أفقد هذه المعلومات التي جَهِدتُ كثيرًا في جمعها، وربما لأني كنت أخاف أن أكون قد فقدت مهارة الكتابة أيضًا، وورقة A4 كبيرة وبيضاء دون أسطر واضحة تتحمل الرسم والكتابة وأيضًا خربشات يمليها عليّ دماغي في الوقت الراهن، بدأت من المنتصف وكتبت شيئًا واحدًا فقط لم أبدأ بسطر جديد آخر بعده ، لقد كان سطرًا واحدًا فقط هو العنوان (ورد) ثم نقطة.

وجدت ألّا شيء يكتب حتى الآن، كوني لا أعرف بعد أي اسم آخر غيري، فلا شيء يستدعي أن أحتفظ بذاكرة خالية إلا منه.

هذا التوقيت هو موعد الزيارة في المستشفيات الحكومية عادة، لهذا أنا أستمع لكل الأقدام التي تمر بجانب الغرفة كعادتي ولكن بدأ وقعها يصبح مألوفًا ليس كسابق عهده لكن الترقب يقتلني، ألتفت لأي صوت أحد يمسك بمقبض باب غرفتي.. رغم أني كنت أنتظر زائرًا لا أعرفه إلا أني في الواقع كنت أنتظر حقيقتي التي هو يعرفها.

وفي آخر ساعة من الزيارة وبعد أن ملّ الانتظار مني، إذا بفتاة تفتح الباب بحذر وتطل برأسها، كنت أود أن أقول لها إنها الغرفة الخطأ وإنّ عليها ألّا تضيع الوقت بالسؤال عن المريض الذي تنوي زيارته، لقد فعلتها مرارًا مع أشخاص من قبل وكانوا يعتذرون بهدوء ويغلقون الباب، لكنها نظرت لعينيَّ مباشرة وكأنها تعرفني جيّدًا، بعينين مليئتين بالدمع تركض نحوي مباشرة وهي فاتحة ذراعيها لتحتضنني، لا أعرف أي شعور هذا ولكني وجدت أخيرًا من أنتظره.

كانت تقبلني بكل الاتجاهات على وجنتيّ ويديّ وبكلمات متقطعة يتخللها البكاء كانت تقول: الحمد لله الحمد لله.

كنت أنتظر منها أن تهدأ ولكن ما بداخلي لا يقوى على الانتظار لثوانٍ.

- هل تعرفينني جيّدًا؟

سألتها بصوت منكسر ممتلئ بالدمع

- أسألك بالله أجيبي...

هل تعرفين شيئًا عني؟

احتضنتني مرة أخرى وهي تبكي

- نعم

نعم

أنت ورد صديقتي وحبيبتي

أبعدها عني وأعيد جلستي أطوي قدميَّ تحتي وأجلس بوضعية التشهد بالصلاة المتوسل للإجابة

وأسألها:

- وماذا بعد؟

وماذا غير ورد أرجوك...

تمسح على رأسي وتعيد ترتيب شعري بيدها

قالت:

- وزوجة أخي سعد رحمه الله

وأم لابنته حنان

سكوت

لا أعرف كم دام صمتي لحظتها

لا بد أنها مزحة في غير محلها وربما نكتة تافهة لا تستدعي الضحك

- أنا

زوجة وأرملة وأم لطفلة!

دفعة واحدة!

أرجوك يكفي واخرجي من هنا، ربما أنا الشخص الغلط وربما مريضك في الغرفة المجاورة وربما من تبحثين عنها ماتت في الحادث نفسه.

- اخرجي

كنت أطلب منها الخروج فقط بكل هذا الهراء الذي جاءت به.

- أنا هُنا لأخذك معي فلقد انتهيت من تجهيز أوراقك وها هي معي.

تخرج الأوراق من حقيبتها الكبيرة المعلقة على كتفها وتعرضها لي، ثم تنزل الحقيبة عن كتفها لتضعها أمامي وتبحث مسرعة عن هاتفها وتفتحه بيد مرتجفة وهي تنظر لي تارة ولهاتفها تارة أخرى لتخرج لي صورة معها وفي حضني طفلة صغيرة وتقول:

- هذه أنتِ وهذه أنا ومعنا ابنتك، أنا جئت لك أنتِ ولم أخطئ الغرفة أرجوك اهدئي فقط..

لقد جاءت لتأخذني لبيتي

إنها مها

أخت زوجي والتي أشاركها البيت نفسه لسبع سنوات!

خمس وعشرون دقيقة المسافة التي تفصل ما بين المستشفى والمنزل، ما بين الحقيقة والواقع الذي كنت به، لقد حاولت مها أن تذكرني بالأشخاص الذين ينتظرون بالفعل عودتي... طفلتي وأمّ زوجي وأخته.

لم تذكر شيئًا عن أمي أو أبي أو ربما إخواني وأخواتي!

كنت أنظر للطريق وهي تواصل حديثها، أبحث فوق الأرصفة عن ذكرى وألتقطها وربما صورة أو حتى وجهٍ أعرفه، لم أصل لشيء ولم أنصت لها أيضًا، توقفنا عند الإشارة وعبرت سيدة تمسك بيد طفلتها مسرعة لتصل للرصيف قبل أن تأذن الإشارة للسيارات بالعبور.

- وأمّي؟

سألتها بصوت رخيم والغصة تخنقني

أجابت:

تُوفّيت يا ورد منذ سنوات وحتى قبل زواجك من سعد بكثير.

- وأبي؟ هل تُوفّي هو أيضًا؟

سألتها وتنهيدة تشق صدري

أمسكت بكفّ يدي وضغطت عليها بلطف وقالت:

- علاقتك بعائلتك انقطعت منذ فترة طويلة، لا شيء يربطك بعائلتك لا زيارات ولا حتى رسائل وكان هذا برغبتك وليس بأمر من أحد عليك كردة فعل لما حصل.

وماذا حصل؟

أسألها دون أن أنظر إليها لقد كنت أتّكئ على النافذة وأنظر للطريق وللأرصفة وللسيارات، لكل شيء يمر بجانبي ولا أشعر به.

تكمل:

- منذ خروجك من المصحّة وبعد ما لُفِّقت لك التهمة، كنتِ تمرّين بحالة اكتئاب بعد عودتك مجدّدًا لبيت والدك وبعد أن قُتلت عمتك في المكان نفسه، قبلت بأخي للهروب من واقعك وهذا ما قلتِه لي بنفسك، حيث زوّجك والدك من أخي الذي كان يعاني من طيف توحد ولم تجد والدتي من ترضى به زوجًا وبمعنى آخر من توليه اهتمامًا ورعاية وتتفهم مرضه، بالمقابل كان والدك لديه المخاوف ذاتها ، كان يخشى ألّا يرضى أحد بك زوجة بعد خروجك من المصحّة النفسيّة.. وبحكم قربك من أختك حنان التي تعاني مِمّا يعاني منه أخي سعد وقدرتك على احتوائها ومنحها كل الاهتمام والحب ، لم تتردد أمي بطلبك للزواج من أخي.. حيث عرفتك من حديث المجالس ومن النسوة المقربات من عائلتك.

تبسمت بسخرية

- وتزوجت هروبًا

كنعجة تهرب من الشباك لمقصلتها.

تبسمت هي أيضًا

وقالت:

- لم تكوني نعجة يا ورد

بل أجمل عروس تزف بحفل عائلي صغير وكان هذا شرطك أنتِ.. ذاك اليوم هو كان آخر عهد لك بمنزل والدك الذي قطعتِ عهدًا ألّا تعودي إليه بعد الذي حصل.

- لقد وصلنا، والدتي تنتظرك.. واعذريها لعدم مجيئها إليك، فلقد كانت أيام العزاء ثقيلة بالدمع ولا تزال حزينة جدًّا لوفاة ابنها الأكبر سعد وهي أيضًا لم تنسك من الدعوات وآسفة لما حصل لك، هي تحبك جدًّا وقلقة بشأنك.

الفصل الثالث

(لتبحث عن ذكرياتك حاول نبش ذكريات الآخرين)

أنا أمام منزل كبير وباب أسود ضخم وشبابيك مربعة عليها نقوش حديدية جميلة، تبحث مها بين كومة المفاتيح عن مفتاح البيت وأنا منشغلة أتفقد الشارع والسور والباب وكأني بالفعل للمرة الأولى أكون هنا وأسأل نفسي بتعجب هل يعقل أن سبع سنوات مضت وأنا أقف هنا وذاكرتي لم تجلب لي ذكرى لساعة واحدة عنها! ودخلنا المنزل، حديقة صغيرة بها شجيرات ونخلة هناك في الزاوية وحيدة وصوت رشاشات الماء تعمل ورائحة الطين والشجر مختلطة، هناك زهور موسمية في الأحواض البيضاء الطويلة الممتدة على جانبي المدخل، وقطة تموء بين قدميّ وكأنها تعرفني جيّدًا وتحاول أن ترحب بي بملاصقة جسدها بي.. شعرت باشمئزاز منها ونفضت قدمي..

نظرت لي مها وقالت:

- هذه سيما

قطة ابنتك حنان وصديقتك أيضًا.

أنظر لمها ثم أعاود النظر للقطة

- تبدو بداية جيدة

قلتها دون أي تعبير بوجهي.

رفعت رأسي على صوت من يرحب بي قادمًا من الداخل وإذا بامرأة عجوز ربما في العقد السابع من عمرها ولكنها بملامح تبدو قوية متماسكة، ممتلئة الجسم مع زيادة من جهة الصدر والبطن، تتكئ على عكاز نحيل بالكاد يحملها، وتلف حول رأسها حجابًا قطنيًّا بلون أسود ويبدو مفرق شعرها الأحمر الداكن اللامع الذي ينفرق مرتبًا على كلا الجانبين، بيدها

خاتم نحاسي كبير والتجاعيد تظهر جلية على يديها دون وجهها.. وكأنّ كبرياءها يمنع من ظهورها في الوجه..

عيناها امتلأتا بالدموع سريعًا وشفتاها ترتجفان، مدّت لي يدًا واحدة لتحضنني واليد الأخرى ما زالت تتكئ على العكاز، أقبلتُ بخطوات بطيئة فـ أنا للتو أتعرف عليها ولا أعرف سوى معلومة واحدة هي أنني أسكن معها منذ سبع سنوات، وأنها والدة زوجي المتوفى.

ربتت بقوة على كتفي وقالت:

- محظوظة أنتِ بالحياة...

وا حسرتاه على ابني سعد، كيف للموت أن يختار من تنفطر عليه روحي.

ودخلت في بكاء صامت وأنا أقف بجانبها أنتظر نوبة البكاء أن تهدأ وابنتها تحاول هذا، مسحت دمعتها بطرف حجابها الأسود وقالت بنبرة تغيرت للتحول من الانكسار للقوة..

- أنتِ هُنا من أجل سعد مرة أخرى، بمنزله ومنزل ابنته ولا مكان آخر لك.

واستدارت ببطء وذهبت لغرفتها وهي تردد حمدًا لله على سلامتك، أربعة أشهر وعشرة أيام مدة الحداد لا تطيّب ولا خروج ولا مهاتفةَ لأحد من الرجال ثم غاب صوتها بعد أن وصلت لغرفتها بكامل هذه التعليمات الواجب علي فعلها بحكم الشرع والدين.

لا أعرف كيف جمعت هذه العجوز بين متناقضين، القوة والانكسار وفي الوقت ذاته، أراهن أنها تمنت لو كنت أنا من مات في الحادث! ثم لماذا

أنا هنا من أجل رجل متوفى! هل تقصد لانقضاء وقت العدة أو أنني سأكون حبيسة لظله!

لا أعرف حقًّا كيف يبدو الإنسان حينما يكون محاطًا بكم هائل من الحزن وهذا تبرير سريع لما قالته أم سعد.

صوت مها تدخل سريعًا لتنادي:

- حنان، تعالي يا صغيرة!

ماما عادت للمنزل..

التفتُّ بسرعة لمها، أمسكت بكتفها وهززت برأسي ليس الآن، كنت أريد وقتًا أطول لأتعرف على ما تحب وما تكره، كنت أريد أن أعرف أبسط الأشياء عنها.

- هذا هو الوقت المناسب يا ورد لا تقلقي..

ترد علي مها لتطمئن قلبي أن الأمور على ما يرام

سألتها سريعًا:

- كم عمرها؟

- من؟

تسألني مها

- هي حنان كم عمرها؟

- ابنتك أكملت عامها السادس منذ شهرين

- ست سنوات!

منذ ست سنوات أنا أمارس الأمومة بكل مشاعري وإحساسي بها، بكل مخاوفي وحبي، بكل ما أوتيت من قوة!

بأي مشاعر سوف أستقبل هذه الصغيرة التي لا أعرفها، وكل ما أعرفه عنها هو اسمها وعمرها واسم والدها واسم والدتها التي هي أنا؟

هل هذا يكفي لأحتضنها بحرارة وشوق كأم فارقت صغيرتها لفترة وعادت دون والدها! طفلة يتيمة وأم أرملة وفاجعة فقدان ذاكرة!

وأقبلت حنان

بجدائل صغيرة وخدود منتفخة وعينين كأنهما لوزتان ونظرات تحتضنني فرحًا وشفتين نحيلتين وفم صغير، سمراء جذابة بملامح نجدية جميلة وثوب قطني أبيض وأكمام مزركشة وتنادي بصوت حاد عليّ:

- ماما

ماما

وللمرة الأولى أسمعها ومن طفلة لا أعرف عنها شيئًا لكن بداخلي تحرك لها كل شيء، هل هي عاطفة الأمومة التي خلقها الله بدواخلنا، أم هي رحمة الله بهذه الطفلة.

احتضنتها وفي الواقع هي من احتضنتني وقالت لي كلمات بلثغة محببة مبتلعة حرف الراء:

- اشتقت لك

أعرف أن بابا في الجنة

وأنك مريضة ورأسك يؤلمك

أنظر لعينيها البريئتين بصمت وشفاه ترتجف، وهي تعاود احتضاني بذراعيها الصغيرتين متسلقة خاصرتي، تضع رأسها على كتفي لتشتم رائحتي وتغمض عينيها بهجة بهذه العودة التي يبدو أنها انتظرتها طويلًا

تربّت مها على كتفي وتهمس وشوشة وتقول:

- إنها لا تعرف ما حصل لك.. فأرجوك..

الفصل الرابع

(مدى معرفتك بنفسك هو من يشكل حدود ذاتك..)

ما مدى معرفتي بنفسي؟!

ما الذي أعرفه تحديدًا عني؟

هذا السؤال المعلق برأسي في أول ليلة أتمدد بها على سرير بغرفة يفترض أن تبدو مألوفة لي، وبجانب صغيرة غفت على ذراعي للتو بعد أن حكت لي هي الحكاية التي كنت أحكيها لها لعام كامل دون أن أغير اسم البطل أو حتى القصة التي كانت تنتهي بنهاية سعيدة دائمًا..

ما مدى معرفتي بنفسي؟!

هذا ما جعلني أنهض من فراشي وأبحث في حدود هذه الغرفة عني، عن أي شيء يذكرني بقصتي وحكاياتي، يبدو أن هناك الكثير مما ستشي به هذه الأدراج المغلقة.

هناك ثياب معلقة لرجل يبدو نحيلًا من مقاس ثيابه... إنها لسعد زوجي، معلومة جيدة، أقولها لنفسها وأبتسم، كيف أتعرف على رجلٍ شاركني حياتي من مقاس ثيابه!

بكل الأحوال لم تكن فكرة جيدة أن أستمر بتقليب ثياب رجلٍ ميت ولا أعرفه، فتشت كثيرًا بين الأوراق وأخيرًا وجدت صورة من شهادة ميلاد حنان

وسألت نفسي من اختار لها هذا الاسم؟

لا بد أن أسأل مها في الصباح عن هذا... فهي المرجع الحقيقي لذاكرتي حاليًّا وأتمنى ألّا تغزو المثالية إجابتها بيوم ما..

ثم وجدت صورة أيضًا لعقد زواجنا والذي كان بالفعل قبل سبع سنوات من هذا اليوم!

لم يكن هناك أي شروط بالعقد ولكن كان اسمي كاملًا مكتوبًا، ها أنا قد عرفته أخيرًا عرفته ويبدو لي أنها بداية جيدة

ورد صالح صالح!

هل أنت على قيد الحياة؟

ولم هجرت أنا عائلتي إذًا؟

هل الأسباب التي قالتها لي مها كافية لأفعل هذا!

- ماما...

ترفع حنان رأسها وتبحث عني، تتفقد مكان وسادتي بخوف

أجيبها:

- أنا هنا

تمد يدها الصغيرة لي وتقول:

- أنا خائفة ماما

تدعوني لأحتضنها

نفضت الأوراق التي كانت بين يدي ورحت مسرعة لها، لا أعرف أي شعور جعلني أفعل هذا، تمددت بجانبها وفردت ذراعي وإذا بها تضع رأسها على حجري وتحضنني من رقبتي وتقول:

لا تذهبي عني

لا تموتي مثل بابا

اجتمع الدمع بعيني، ربما كنت أمًّا جيدة لها وربما كان والدها مثاليًّا أيضًا ولهذا هي تخاف فقداني مرة أخرى

مسحت على رأسها وقلت:

- لن أغيب أعدك بهذا.

وأغمضت عينيها الصغيرتين قبل أن أكمل حديثي معها،

أمسح على شعرها وأحكي لها قصة واقعية تحصل فقط بالخيال

كان يا ما كان..

هناك امرأة وجدت نفسها فجأة كبيرة!

لا تعرف متى امتد ذراعاها لهذا الحجم ولا حتى ساقاها

هناك أثر ندبة لجرح عميق عند ركبتها ولا تملك أبسط ذاكرة عنه

عن طفولتها أين كانت

عن حضن أمها وقصة ما قبل النوم

عن البطل والدها الذي يحقق لها كل الأمنيات

عن مشاكساتها مع إخوتها

عن مرحلة الابتدائية وشقاوتها

عن الدراسة وبأي عمر تعثرت، عن فستان زفافها ويومها الأبيض

عن أول رفسة لجنينها ببطنها

عن تضخم حجم بطنها وحجم أحلامها

عن الدعوات التي سبقت المخاض

عن الصرخات الأولى لطفلها عن لحظات قرار تسميته

عن أولى خطواته

وألذ كلماته

ومتى قال لها ماما..

كيف لحادث أن ينسيك كل هذه التفاصيل، لتفقد معها لذة الشعور ولذة الحياة ولذة الذكرى

وتوتة توتة، بدأت الحدوتة..

يوم جديد آخر

يبلغ عمري الآن أربعة أشهر وعشرين يومًا، من لحظة معرفتي بمن أكون، شعور جيد أنك بدأت تدون بنفسك تاريخ ميلادك، وترتب الأشخاص بذاكرتك من جديد، ذاكرة خالية تمامًا وتتسع لكل شيء، أشعر ببعض التشويش أحيانًا وأحيانًا أخرى أشعر أنني كنت هُنا بالفعل وكأنه حلم يقظة يمر سريعًا كما حصل في أول يوم لي بالمنزل وعلى طاولة الغداء، جلست على الكرسي الذي اعتدت أن أجلس عليه من قبل وكأن العادة هي من قادتني له، ويترأس الطاولة العمة أم سعد التي تأكل بصمت دون أن تنبس بكلمة واحدة، لقد شاركتنا وجوه جديدة.. فتاة في نهاية العقد الثاني من عمرها وتدعى (حياة) إنها الأخت الصغرى التي تبدو بملامح غير مريحة البتة بعكس أختها مها التي رافقتني منذ الأمس..

لقد اكتفت حياة بالسلام عليَّ وكأني قابلتها منذ دقائق، ربما أنا بحاجة للاحتواء المفرط في هذه اللحظات لهذا ألتفت لكل التصرفات ممن هم حولي..

اليوم وبعد انقضاء مدة الحداد، التقيت في المنزل بشخص آخر، شاب في منتصف العقد الثالث من عمره، إنه عم حنان وأخو المرحوم سعد...عندما عرفت أن هناك أخًا لسعد أي عمًّا لحنان، عرفت أن هناك عوضًا لحنان وأبًا يقوم بالاهتمام بها بعد أن رأيت لهفة حنان وهي ترحب به وتذكره بوعوده لها بالأمس، ألقى التحية بحرارة وقدم لي التعازي وتمنّى لي الشفاء أيضًا.

لقد كان لطيفًا جدًّا، وكان غائبًا عن المنزل طوال فترة الحداد...حيث الحُرمة الشرعية لا تبيح وجوده في المكان نفسه الذي أنا به إذ لا مكان آخر يمكنني الذهاب إليه..

لقد كنت أخاف هذا اليوم كثيرًا... فطوال هذه المدة تجهز العمة أم سعد له، لا أعرف ما تنوي القيام به لكنها تجهز لشيء لا أشعر بالراحة تجاهه..

هل جربت ذاك الشعور؟

الذي يأتي قبل وقوع الشيء؟

لقد جربته قريبًا جدًّا.. حينما زرت والدي في بيته قبل شهر، أي بعد الحادثة بثلاثة أشهر ونصف الشهر.. لقد عرفت الكثير قبل زيارتي له، عرفته كمعلومات من العمة أم سعد وتارة توصيات من مها والأخرى نوبات تجريح من الأخت الصغرى لسعد (حياة)

فلقد كانت نوبات حياة هي الأكثر تأثيرًا ومصداقية في الواقع.

لقد عرفت معنى أن يكون لك أب لا تنتمي له إلا بالاسم والدم الذي لا يشعر هو به، لقد ذهبت إليه بعد إصابته بفايروس كورونا، ولسوء وضعه الصحي طلبت مني العمة أم سعد هذه الزيارة، تحدثت له وتفصل بيننا أمتار لقد كان شاحب الوجه وضعيف القوة، لا أذكر كيف كان يبدو سابقًا لكني شعرت بوجع تجاهه... لم يكترث لوجودي الذي كان غير مرحب به، كان يريد خروجي سريعًا خوفًا من انتشار الفايروس... لم يكن وحيدًا، لكنه اختار هذا ورفض الإقامة مع أي من بناته التسع، لقد عرفت أن لديّ تسع أخوات فرقتهن الظروف والأيام.

تسع أخوات كان والدي يرفضهن ولا يعطي لهن اهتمامًا ويبحث عن زوجة أخرى تنجب له الولد بعد وفاة أخي الأكبر محمد

وها هن اليوم يجتمعن حوله ويتوسلن له من أجل خدمته! لا أحد غير بناته حوله

هل تذكرتم حكايتي وكيف بدأت؟

أرجوكم تذكروا معي..

فلقد تعبت من جمع الأحداث من الأفواه، تعبت من ربط القصص المتناثرة، من الأكاذيب التي يرويها الراوي ويحلف على مصداقيتها، تعبت من معرفة أني كنت مجرد فتاة مهملة بين كومة من الأخوات...

عاشت طفولتها عمياء وقضت مراهقتها بين أزقة المدارس تبحث عن كرسي صغير يناسب حجمها الكبير لتلحق بقطار التعليم الذي فاتها بسبب إهمال والديها لها... أم أحكي عن فترة ينعِ شبابها الذي قضته في مصحة عقلية بعد أن أدخلها والدها بالقصد ليبعد عنها اتهامًا بجريمة قتل عمتها، بجريمة ارتكبتها زوجته الثانية ولفقتها لابنته وصدّقها هو، وتركها تعاني بين المجانين حتى كادت تفقد صوابها لولا لطف الله، ومع هذا كله لم يزرها مرة واحدة، حتى أظهر الله الحق وتجلت براءتها.. وهكذا أخرجني أبي من زنزانة المصحة النفسية وألقى بي في زنزانة أخرى ببيته الكبير.. الفرق أني هناك كنت أرى وجوهًا حقيقية أما بمنزله فلا شيء سواه هو والأشباح.

أنا التي وصلت للأربعين من عمري لأجدني فقدت الذاكرة ومعي طفلة لا أعرفها! أنا ورد عفيفة

هل تذكرون؟

أيقن أنه عندما تجف الحياة من منبعها -وهُم الأهل- ينطفئ معك ذاك الشغف وتفقد ذاتك لفترة من الزمن تحاول استعادة توازنك من جديد، تتأمل كلّ صورك القديمة وتتعجب كيف كنت قادرًا على الحياة وكيف

ابتسمت هذه الابتسامة العريضة وقلبك ينزف وجعًا، فجأة ينطفئ وهج التواصل مع من تحب أو (كنت) تحب.

أجد أحيانًا أن العزلة هي ذاتها معاناتي وفي الوقت نفسه هي خلاصي.. كنت طوال هذه المدة أعتني بجرحي جيّدًا وأخاف ذبولي، أحاول جاهدة أن أسقيني كنبتة تحتاج لرعاية خاصة لتعاود الاخضرار، كنت أنتظر ولادة مبهجة بعد هذا المخاض العسير..

لقد كان شعوري عند زيارتي لوالدي ليس فقط أنها الزيارة الأولى، بل والأخيرة... لقد كنت طوال تلك الفترة أخاف مواجهته بعد كل ما عرفت عنه وما حصل معه ورغم هذا كانت لدي رغبة ملحة بداخلي أن أقترب أكثر لعل كل ما سمعت هي أكاذيب ملفقة عن أسرتي، وعندما استجمعت قواي لرؤيته، وقررت الذهاب إليه بعد ما أخبرتني العمة أم سعد بمرضه قالت لي العمة أم سعد:

- تذكري، لن يكون وجودك مرحبًا به

- إلى هذا الحد؟

أقولها لها بتعجب.

تتكئ وتكمل شرب كاس الشاهي

تأخذ رشفة أخرى وتقول:

- وهل سأل عنك؟

وجدتِ اتصالًا منه؟

منذ لحظة زواجك قالها لك

لا تعودي إلى هُنا.

- ماذا يقصد بهُنا؟

أقولها وبداخلي غصة هزمها الكبرياء

ترد:

- يقصد بيته...

بيتكم

فلقد زوج حنان أيضًا لرجل بالكويت يقال إنه من أصحاب الهمم

من هي حنان؟

أسألها

-أختك.

- تبًّا للذاكرة التي أنستك أختك هذه بالتحديد والتي من شدة تعلقك بها أسميتِ ابنتك على اسمها.

- الآن عرفت لمَ أسميتها حنان

وتبًّا لذاكرتي التي تجعلني أسأل عني وبهذه الطريقة.

من يذكرني بحنان! من يجمع لي ذاكرتي وعمري وذكرياتي، أخواتي التسع اللاتي لم أجد بينهن أي ألفة وكأن هناك شيئًا أكبر من كون الحياة أشغلتنا، هناك فجوة جعلتهن لا يجتمعن، هل الحياة قادرة فعلًا بحجة الأشغال أن تبعدنا وتفرقنا..

كانت أم سعد تعرف أن ذهابي لوالدي سيجعلني أبدو أكثر انكسارًا، ورغم طلبها بزيارته إلا أنها تريد أن تثبت لي ألّا ملاذ منها سوى إليها..

الفصل الخامس

(العزاء، طعنة بالخاصرة)

عندما توفي والدي، وعاودت زيارة منزله للمرة الثانية، كانت رائحة الحزن قاتلة، لم أشعر بها من قبل، لم تكن وفاة سعد قد حركت بداخلي شيئًا، فهو وسعد يمثلان الشعور ذاته فكلاهما لا أعرف عنهما شيئًا، غير أني فقدت ذاكرتي بحادث سعد واستعدت الوجع بزيارة والدي المريض، بيد أن وفاة والدي أشعرتني بطعنة بخاصرتي، صخرة سقطت على كبدي، غثيان أشعر به كلما رددت التعزية على أحد، ثقل بكفيَّ كلما صافحت إحداهن وتمنّت لي طول العمر، صداع يفلقني كلما ردّدن قصص الصبر والثبات، حينما تكون المصيبة ليست مصيبتك فـ أنت حكيم على الدوام، أصحاب المصاب هم أشخاص فقدوا عقولهم ولكن بتعقل هم يمارسون الجنون بداخلهم، هم يصيحون ويندبون ويتقطعون ومظاهرهم ثابتة، فتوقف عن إبداء الحكم فلا كلمات قادرة على تثبيت شخص فقد للتو أحد والديه..

ربما لا شيء يذكرني بالرجل الذي رحل عن حياتي، لكن هذا الرجل يدعى والدي، شعور اليتم موجع وأيضًا نظرة الحزن كلما شاهدت نفسك بالمرآة ، ذبول ملامحك والانكسار والخيبة...ستقتلك.

الفراغ الذي ستشعر به وكأن هواءً بداخلك، هواءً باردًا يجعل كل أطرافك ترتعد، مهما كبرت أنت مكسور وتتمنى لو أن عمر الآباء يطول لتقول هذا أبي، وليس كان أبي، (كان) و(رحمه الله) تعنيان أنه انتقل من عالمك ورحل لعالم آخر لا يسمع صوتك به، ربما سنوات ابتعدت بها عنه، لو كنت أعي لما ابتعدت وحتى لو كنت أعيش بتابوت وأعامل كجنازة، الشعور بالندم يقتلني فهل سيعفو عني، هل اشتاق لي، هل حاول أن يصل ولم يجدني؟!

هذا الرجل وهبني اسمه ولم يجعلني أحيا لقيطة آواني بين تسع من الأخوات، كنت أتمنى أن تكون لي ذكريات ولو سيئة فقط لأتعرف عليه وبدون مساعدة أحد..

في العزاء كانت أخواتي يتكلمن عن محاسنه عن جده بالعمل وشرفه وأنه لم يصادق أهل السوء وكان يبتعد عن مجالسهم، كنت السيئة الوحيدة التي تذكر هو ما فعله بأخته زكية، وكنّ يتكلّمن عن ندمه الشديد، هذا وخصوصًا بعد ما حصل لها، وقد تحدثن عن العمة زكية بإسهاب، وعرفت أني أنا من كان يشرف على رعايتها بعد أن أصيبت بالزهايمر، العمة زكية التي جعلها والدي عانسًا بعد أن كسر قلبها بحجة العادات والتقاليد...ولكنها بقيت تسكن معه، تحت رعايته خوفًا وحبًّا.

دنوت برأسي أهمس لمن بجانبي بالعزاء وسألتها:

- أين العمه زكية الآن؟

- لقد قُتلت منذ ثماني سنوات

- قُتلت!

- التفتت إليّ وقالت:

- هل فقدتِ عقلك يا وردا!

وكل ما حصل لك بتلك الحادثة هل نسيته!

التزمت الصمت

لأني لم أفقد عقلي ولكن فقدت ذاكرتي التي ستقودني للجنون حتمًا إن لم أجمع ماذا حدث لي وقتها!

لم تدر أخواتي بما حصل لي... كل ما جمعني بهن هي أيام العزاء الثلاثة، بلا ذكريات، بلا محبة، فقط أحاديث عن حياة كل واحدة منهن ومشاغلها التي تنتظرها

الشيء الوحيد الذي كان يجمعنا هو اليتم فقط... ولمعة حزن وانكسار بعد الفقد.

علمني الحزن:

أنّ الحياة لا تتوقف من أجلك، ولا تنتظرك لتنتهي من نوبة البكاء..

ولا تمسك بيدك لتنهض وتربّت على كتفك لتستقيم!

نحن نحتاج الحياة لنحيا ولا نستطيع أن نحيا ونحن ضعفاء

بكل هذا الدمع وهذا الانكسار وهذا الضعف...

الحزن ضعف

لهذا أنت تحتاج أن تتكئ على نفسك لتنهض من جديد. ربما لم تجرب بعد، أن تجمع معلومات عنك، وتحاول أن تتعرف على نفسك وعلى حياتك السابقة، أن تكون شخصًا بلا أسرار أمر مريح بعض الشيء ولكن أن تكون بلا ذاكرة فهو أمر مفزع حقًّا..

كانت الصور هي من تدلني على الوجوه لأستطيع ترتيبها بذاكرتي، وجه سعد الذي كان ملاصقًا لوجه ابنتي بكل صورة تقريبًا...أتأمله كثيرًا وأسأل نفسي: كيف كنت أشعر تجاه هذا الرجل الغريب عني؟

كيف كان يشاركني وسادة واحدة وربما حلمًا واحدًا!

كيف كان صوته ولمساته وكلماته وربما أحضانه! كيف له أن يترك شيئًا منه يتضخم أمامي (ابنته) وأنا لا أعرفه،

كيف أبدو حينما أعشق؟ ربما كنت سخيفة جدًّا...أبتسم ثم أصمت..

باب غرفتي يطرق إنها مها...أشعر بهدوئها قبل أن أفتح الباب، الساعة الثانية فجرًا

- الوقت متأخر، هل تعانين من أرق؟

أسألها:

تفرك أصابعها بعضها ببعض وتسألني وهي تطل برأسها للغرفة وباتجاه السرير:

- حنان نائمة؟

- نعم،

أجيبها وأنا أنظر لحنان

- أنا فقط اشتقت لها

تبرر مجيئها بهذا الوقت

أمسكت بيدها وطلبت منها الدخول

- تعالي نتقاسم هذا الليل لعله يمضي دون أي كارثة روحية جديدة،

وأبتسم

تدخل وتنظر لصور سعد المتناثرة وسط كومة من الأوراق والأشياء، وتسألني

- هل ما زلتِ تائهة يا ورد؟ - لا

أنا فقط أحاول أن أجيب على التساؤلات التي برأسي، كيف أنجبت طفلة من شخص فقدت كل ذاكرة معه؟!

ماذا سأخبر حنان عندما تكبر

تقاطعني قائلة:

- لم يكن هناك الكثير

لا تقلقي

سعد شخص انطوائي وجلُّ وقته يقضيه وحده، ما بين جهازه المحمول وكتب يقرؤها.. لم يكن بينكما أي مشاعر ظاهرة كأيّ زوجين، لا خلافات ولا حتى مزاح، كانت علاقتكما عادية باهتة بعض الشيء.

- بدون حبّ تقصدين..

- ربما...

أنظر لصورة سعد وأقول:

- نعم فالحياة الخالية من العناد والخلافات والمشاحنات التي تسببها الغيرة، هي حياة باهتة لم تتعرف على الحب بعد...وهذا يحصل عندما يكون الزواج صفقة، لمصلحة ما.

- لا يا ورد

لم تكوني صفقة أو مصلحة، ولكن سعد رجل مريض بجانب أنه يعاني من طيف توحد هو أيضًا يعاني من نوبات صرع وهذا ما جعله لا يخالط كثيرًا ويبتعد عن الحياة الخارجية قدر ما يستطيع، لكن وجود حنان كان له كل شيء، لقد فرح بها كثيرًا وتعلق كثيرًا ودائمًا يقول لأمي هذه عيني فاحفظيها ما حييتِ.

وهذا ما كان يكسر قلب أمي بكل مرة

لم يمت من نوبة صرع كما كانت أمي تخشى ولكنه مات بحادث سيارة، هذه هي الأقدار، الذي نخافه لا يقع والذي نأمن جانبه يكون سببًا لنهايتنا.

أتنهد

أكاد أشعر بصدري الآن وهو يأخذ نفسًا ثقيلًا جدًّا.

احتضنتني مها، لم أكن بحاجة للاحتضان بقدر ما هي كانت بحاجة إليه، نحن نشعر بهذا أحيانًا حينما يحتضننا شخص وقلبه يرتجف، سألتها عن إذا ما كانت تود أن تقول لي شيئًا..

بكت طويلًا وكأنها للمرة الأولى تجرب البكاء..

- الحكاية منذ البداية كانت لديك يا ورد لقد أخبرتك بكل شيء ولا مزيد ولا جديد يذكر.

أنظر إليها بوجه باهت، كيف تخذل شخصًا بغير قصد، فقط لأنك نسيت كل شيء ولا تتذكر، لست قادرًا على تقديم مساعدة ولا مشورة، أنت عاجز تمامًا.

- أعتذر يا مها

أنا أستمع ولديك ذاكرة خالية تمامًا وستحتوي قصتك كاملة.

- أنا نسيتها يا ورد وما تبقى رواسب لعينة ستزول يومًا مَا لا تقلقي تصبحين على خير.

تصبحين على خير يا ورد... قلتها وعدت مرة أخرى لغرفتي، أُقَلِّب مواجعي مع الأرق مع الرجل الذي أحبني وغيبته مشيئتي، لم أختر غيابه ولكن الظروف هي من شاءت هذا، لا يمر يوم دون أن أحادث صورته أن أجده بين أحاديث أختي حياة..

وجعي الذي نسيته ورد بالكامل يستحق الحمد، فالرواية التي ترويها بلحظة ضعف... ستندم على هذا عندما يأتي الصباح، فكل ليلة كنت

أجالس ورد وأحكي لها حتى يغلبني التعب وأنام، لقد فقدت الصديقة ذاكرتها وأخذت معها كل نوبات جنوني..

فلقد أحببت سلطان، زميل العمل المجاور لمكتبي، في كل صباح كان هو وجهة قلبي، أجهز قهوته التي يحب عند قدومه وأحيانًا هو من يجلب لي قهوتي، حديث أكواب القهوة ورائحة البن يشي بالكثير من المشاعر، كانت مشاعر متبادلة بها الكثير من الاحترام، لم يكن لنا أي تواصل خارج نطاق العمل لا مكالمات ولا حتى رسائل... لم أكن جامدة ولكن كانت لي حدودي التي تحفظ لي نفسي، أشعر أني أحلّق عند رؤيته كل صباح، لقد كان العمل معه ممتعًا لدرجة أني لا أشعر بالتعب، وغيابه ينعكس على مزاجي وعلى قدرتي على الإنجاز، فبعض الأشخاص تشعر أنهم

الطاقة الرائعة لروحك، ربما هو الحب.

المشاعر التي تسيطر عليك ستظهر جلية بأحاديثك، تظل تكرر اسم الشخص مرات عديدة ودون أن تشعر، تذكر محاسنه دون أن يسألك أحد وتدافع عن مساوئه التي يراها الغير ولا تراها أنت، تجاهد لتضعه داخل برواز كبير، ليظل الجميع ينظرون إليه بتعجب وإعجاب.

لقد أخبرت حياة عن سلطان، عن كونه رجلًا رائعًا وموظفًا مجتهدًا، أخبرتها عن كل شيء إلا عن مشاعري تجاهه، لقد كنت دائمة الحديث عنه، حتى جاء ذاك اليوم الذي أخبرتها به عن صفحة سلطان على تويتر وكيف أنه ينتقي عبارات تروق لي..

كانت مجرد لمحة لم تأبه لها، لم تعرني اهتمامًا كعادتها لأي حديث عن سلطان، سوى ما لاحظته مؤخرًا تسألني عن صديقات العمل وعن مواعيد حضوره وانصرافه، لم أكن دقيقة الملاحظة بما يكفي لأعرف أن

هناك أمرًا ما بينهما ولم أعرف متى أضافته على حسابها بتويتر وتسلقت الخاصّ لديه.. ثم تعرفت عليه ثم حادثته هاتفيًّا!

تطور الأمر سريعًا ولم أعلم بهذا، فحياة تختلف عنّي تمامًا، أنا أخاف الله وتهذبني العادات وهي علاقتها مهزوزة بالاثنين... فإذا فقدت مخافة الله فلن يهذبك شيء.

تغير سلطان كثيرًا بعمله، يتأخر دون عذر مبرر، يشرد ذهنه بعيدًا لأغلب الوقت، يتحدث بهاتفه كثيرًا، حتى جاء الوقت الذي أخذ به إجازة لمدة يومين تحت بند طارئ.

الظروف تحصل، ربما يمرّ بظرف يحتاج معه لأن يهدأ ويعود من جديد. لكن الغريب أن يصادف أن حياة أيضًا أخذت إجازة من عملها وكانت طوال الوقت حبيسة غرفتها وتبكي، لقد حاولت مرارًا أن أعرف سبب بكائها وعزلتها لكنها لم تمنحني فرصة أبدًا، حتى مللت المحاولة وكنت على يقين أن من يودُّ البوح بشيء سيفعل ودون التدخل من أحد، ستأتي اللحظة التي سيتحدث بها مع الغير وربما لن يتحدث إلا مع نفسه، في نهاية الأمر سيختار من يخبره.

وجاء اليوم الذي طرقت به حياة باب غرفتي عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وإذا بها تنفجر بالبكاء وتقول لي أنتِ السبب وتضرب على صدري، حاولت تهدئتها لمعرفة ما بها، كنت أعرف أنها تخفي شيئًا ولكن ليس لدرجة أن أكون أنا السبب به ولا أعرف شيئًا عن هذا!

حضنتها وحاولت تهدئتها رغم حركة يديها العشوائية المُتعبة ترفعها ثم لا تقاوم سقوطها وتحاول رفعها، لقد كان الإجهاد واضحًا جدًّا، ووجهها شاحب فمنذ شهر وهي حبيسة غرفتها وأكاد لا ألتقي بها ولو بالمصادفة.

مشيت بها نحو الأريكة بغرفتي طلبت منها مرة أخرى أن تهدأ وهي لا تزال تجهش بالبكاء ولا تتكلم سوى كلمة أنتِ السبب.

ثم قالت:

- أنا حامل...

كانت بمثابة الصاعقة التي شطرتني نصفين!

هكذا بدون مقدمات! بدون قصة بدون تمهيد، حتى بدون أن تخفض صوتها! أي عار جلبته لنا الأيام أي رذيلة جاء بها القدر أي مصاب سيواجه العائلة ويلحق بها العار!

ركضت للباب أغلقه وأنا أشير لها بكفي وأغلق أنا فمي المرتجف أن اسكتي تمامًا حتى لا يسمعنا أحد.

رجعت إليها بخطوات متثاقلة جثوت عند ركبتيها وقلت:

- كيف هذا يا أنت؟

منذ متى ومع من وهل كان زواجًا دون علم أهلك!

يا ويلنا

بكت كثيرًا وهي تقول:

- أنتِ السبب

أسكتها وأنا أقول:

- اخرسي، بعيدة أنا عن عارك

- لستِ بعيدة أنتِ من امتدحه لي أنتِ من تتحدثين عنه طوال النهار، حتى حسبت أنه رجل الفضيلة لا خوف منه وخرجت معه بعد علاقة دامت لشهرين.

- لحظة! تمهلي من تقصدين؟!

أسألها وأنا كمغيبة عن الوعي أشير بيدي بالسؤال من!

لتجيب:

- الفاضل سلطان...

هنا شعرت بغثيان ورغبة بالتقيؤ كحديث مقرف تناولته للتو، حديث مسمّم بالخيانة والزنى.

لم يكن أمامي حلٌّ إلا أن نجد حلًّا للمصيبة التي أوقعت حياة نفسها فيها، وقبل أن يفتضح أمرها وتسمم العائلة كلها بهذا.. لم أفكر كثيرًا بما سأفعل فلم يكن هناك إلا حل واحد هو أن يتزوج سلطان بحياة..

كمثل مسلسل يوشك على النهاية والأحداث تتباطأ ويعود بنا السيناريو لحلقات لم تعرض بعد، ويعرضها لنا من جديد!

من طاولة بالمقهى وحديث غزلي ومسكة باليد وضحكات مدسوسة ثم دعوة إلى السينما ويمضي الوقت متجاورين ومتعانقي الأيدي ثم يتوهج الحب على حد تعبير البطل، وعلى ارتفاع منسوب الغباء والسذاجة

للبطلة، وتوافق هو تحت بند سأتزوج بك لا تخافي ف أنا أعشقك ولا أستغني عنك وستكونين لي.

هل نسيت صورةً أو عبارة لم أذكرها بهذا المشهد المتكرر بكل خيانة ورذيلة؟!

المشهد ذاته مع تغير الأبطال الأغبياء فقط!

ثم لتظهر فعلتهم أخيرًا للجميع بجنين صغير قادم للحياة، لقد أخبرتني حياة أنها حاولت كثيرًا أن تتخلص من الجنين دون لم يكن أمامي حلٌّ إلا أن نجد حلًّا للمصيبة التي أوقعت حياة نفسها فيها، وقبل أن يفتضح أمرها وتسمم العائلة كلها بهذا.. لم أفكر كثيرًا بما سأفعل فلم يكن هناك إلا حل واحد هو أن يتزوج سلطان بحياة..

كمثل مسلسل يوشك على النهاية والأحداث تتباطأ ويعود بنا السيناريو لحلقات لم تعرض بعد، ويعرضها لنا من جديد!

من طاولة بالمقهى وحديث غزلي ومسكة باليد وضحكات مدسوسة ثم دعوة إلى السينما ويمضي الوقت متجاورين ومتعانقي الأيدي ثم يتوهج الحب على حد تعبير البطل، وعلى ارتفاع منسوب الغباء والسذاجة للبطلة، وتوافق على دعوته لها لعشاء خفيف ولكن في المزرعة المستأجرة والتي أقنعها أنها ملك له..

لتذهب هي ويفترسها هو تحت بند سأتزوج بك لا تخافي ف أنا أعشقك ولا أستغني عنك وستكونين لي.

هل نسيت صورةً أو عبارة لم أذكرها بهذا المشهد المتكرر بكل خيانة ورذيلة؟!

المشهد ذاته مع تغير الأبطال الأغبياء فقط!

ثم لتظهر فعلتهم أخيرًا للجميع بجنين صغير قادم للحياة، لقد أخبرتني حياة أنها حاولت كثيرًا أن تتخلص من الجنين دون جدوى، لقد ضربت بطنها وأسقطت نفسها من السلالم ولكن الله أراد.

لم يكن هناك حل إلا زواج سلطان من حياة ولو لشهر واحد وليكن بعدها ما يكون لا يهم.

لقد طلبت بنفسي هذا منه، ولكم أن تتخيلوا كيف أطلب ممن أحب أن يتزوج أختي!

لقد كان يومًا قاسيًا ما زلت أعاني منه وما زالت رواسبه اللعينة بداخلي، أنا أذكر تفاصيل الحوار كاملًا، بكل تنهيدة ودمعة حبستها كبرياء، بكل نظرة اعتزاز وانكسار بالتوقيت ذاته، بكل رجفة بيدي أخفيتها بداخل جيبي حتى أبدو بمظهر ثابت، بكل غصة ابتلعتها وأنا أتحدث له.

لقد كان مصدومًا بكون حياة هي أختي ولقد أقسم أيمانًا مغلظةً أنها خطيئته الأولى وأنه لم يفعلها من قبل ولم يغرر بالفتيات

هو يخشى على منصبه واسمه إن شاع خبر مثل هذا ومن موظفة مشهود لها بالصدق مثلي، بالطبع لم أصدق كل ما قاله ولكني كنت متمالكة أعصابي أكثر مما يستحق، حتى يتم زواجه بأسرع وقت.

لقد رفض في بداية الأمر وقال إنه لن يتزوج بأنثى خرجت معه، وكان يكابر بأن الأمر لا يعنيه ولا يعيبه لولا الله ثم تدخل ورد بالحكاية وتهديدها له بأنها ستبلغ عنه فمن لا تربيه الأخلاق ستربيه الحكومة، وأن الفضيحة ستنشرها لتصل لمديره بالعمل ولكل من حوله، حتى أنها احتالت عليه

لتلبسه فعلته على أنها تحرش وتغرير بحياة كنوع من التهديد أيضًا، لقد كانت ورد شديدة اللهجة معه وجادة أكثر مني، لقد طلبتُ منها أن تفعل ما لم أستطع فعله، كنت أرجف كلما قلت له تزوج من أختي، وكم كنت أود أن أقول له تزوج بي من قبل هذا.

لم يمض الكثير من الوقت حتى تم زواجهما وكنت أجاهد أنا وورد حتى يتم هذا الزواج، فلم يكن قبول أمي أو إخواني بالهيّن لولا أني امتدحته بحكم أنه زميل عمل لسنوات.

كان زواجًا ممتلئًا بالمشاحنات والشك وانعدام الثقة ومن الطبيعي لزواج تم بهذه الطريقة أن يكون كذلك، وكلما كبر بطن حياة تذكر هو فعلته وازدادت المشكلات بينهما، كانت حياة تنتظر هذا الطفل ونادمة على كل محاولات الإجهاض، كانت تريده عوضًا جميلًا عمّا حدث لها، وقبل ولادتها المقررة بأيام توقف نبض جنينها ليولد ميتًا ويدفن دون أن تحظى بلحظة احتضان أو حتى توديعه بقبلة على جبينه البارد، كنت أتألم مع حياة بعد أن فقدت جنينها، وسعدت جدًّا بطلاقها بعد أن دخلت في نوبة اكتئاب حادة ولم يطق هو ذلك وكان منذ البداية يود الفرار وها هو وجد مخرجًا أخيرًا، سعدت أنا بهذا الخلاص لحياة لأني أريد لها حياة أخرى تبدأ بداية صحيحة وصحية.

ظل وجع سلطان بداخلي كنوبات أرق لا تنفك عني، انعدمت ثقتي بالمقربين مني، وصارت أسراري لي وحدي وأشارك بعضها مع ورد.

وها أنا جئت لورد مُتعبة ولقد نسيت هي الحكاية بأكملها..

هذه بداية جيدة لي أيضًا.

الفصل السادس

(في أحيانٍ كثيرة تجعل الآخرين يقررون بدلًا عنك ليس ضعفًا منك ولكنك لم تجد مخرجًا آخر.)

يوم الخميس الساعة الخامسة مساء

الخادمة تطرق باب غرفتي، لتخبرني أن العمة أم سعد تود مقابلتي في غرفتها الخاصة، لم أعتد أن يكون هناك أي حديث ولو عابر يجمعني بالعمة في غرفتها الخاصة،

لا بد أن هناك حديثًا آخر غير سعد الذي لم تفتر عن ذكر محاسنه ولم تتوقف عن محاولة جعله بطلًا بذاكرتي التي لا تحفظ أي شيء له..

بطريقة أو بأخرى هي تعيد لي وجوده لأنقله بدوري لابنته... رغم أن العمة أم سعد لم تفتر لحظات عن فعل هذا مع حفيدتها حنان، هي تخشى بطريقة أو أخرى أن ينساه الجميع كما هو حال جميع من رحلوا، لكن رحيل سعد بالنسبة لها مختلف، حيث إنه رحل بهدوء كما كان بحياته، لا علاقات ولا صداقات تجمعه بالآخرين وحتى بإخوته، منعزل ومنهمك أمام شاشة الحاسوب التي يعمل من خلالها، يقرأ كثيرًا ويتكلم قليلًا... لم يكن يحبني وربما لم يظهر هذا الشيء للآخرين كما قالت لي أخته حياة، إنه لم يظهر لك توددًا يومًا، عكس ما كان يفعل تجاه أمه وابنته، وكانت مها تبرر ذلك بأنه رجل مريض مصاب بطيف توحد فمن الطبيعي أنه لا يظهر المشاعر الخاصة..

هم يظهرون مشاعرهم وخصوصًا التي تلامسهم مباشرة وإلا لما فعل هذا مع والدته وابنته.

ويبدو أن حياة قد تصيب في بعض الأحيان فيما تقول، لم يكن حديثها ذا وقع بقلبي ولم يسبب لي ألمًا لأني لم أعرف من هو ذاك الرجل بعد ولم أشعر تجاهه بأي شيء، وبالتأكيد أنني لم أعطه مشاعر لم يكن هو يمنحني إياها.

دخلت غرفة العمة أم سعد وهي تجلس بوسط الأريكة ذات الطابع الكلاسيكي المتوسطة بغرفتها وتتكئ على عصاها.

تنظر لي نظرة لم أطمئن لها وكأنها تخفي حديثًا ما لن يعجبني

- اجلسي يا ورد

جلست على أريكة مقابلة لها تتسع لثلاثة أشخاص وبجانبي ابنتي حنان

- حنان اخرجي العبي مع عمة مها

تأمرها جدتها بالخروج

عرفت أن هناك أمرًا يخصني وحدي

طرق أحمد باب الغرفة الذي كان مفتوحًا، أقبل مبتسمًا وقبل رأس والدته قائلًا:

- كيف حالك يا أمي، لقد طلبتِ حضوري وها أنا تركت كل شيء وأتيت لك.

ترد العمة أم سعد:

- نعم اجلس

وقفت أنا

- اجلسي يا ورد وأنت يا أحمد

التفت لي أحمد بوجه مبتسم كعادته:

- كيف حالك يا أم حنان، طمئنيني عن صحتك

- الحمد لله بخير وتحكي لي عنك حنان كثيرًا

ضحك وقال:

- هذه الشقية هي صديقتي انتهى الحديث عندما قطعت العمة هذا بنبرتها الجهورية وقالت:

- مات سعد وترك لي ابنته أمانة عندي وأنا امرأة عجوز وأخاف أن يأخذني الموت وتضيع هذه الصغيرة...

قاطعها أحمد:

- حفظك الله يا أمي وأطال بعمرك.

تصمت قليلًا وتضع رأسها على طرف العكاز وهي تتكئ على كفيها

ثم تواصل حديثها:

- بقاء ورد في هذا البيت مرتبط ببقاء حنان وجميعنا نعرف ألّا مكان لورد خارج هذا البيت.

لا أعرف أي شعور غريب تملكني ولكنها قشعريرة دبت من أخمص قدمي حتى رأسي، أن تكون شخصًا بلا مأوى وبلا أهل ومرهونًا وجودك بطفلة صغيرة..

حاولت أن أتكلم:

- ولكن أنا..

- انتظري أن أكمل حديثي

تقولها لي العمة أم سعد مقاطعة لي:

- حنان لا بد أن تكبر بمنزل والدها، هنا بين عماتها وعمها وأهلها وأنا، ويعز علي أن تكبر اليتيمة وهي يتيمة مكسورة القلب والجناح

لهذا قررت أن يكون أحمد هو والدها وهو من يعوضها هذا الفقد لتبقى تحت جناحه ورعايته وتكون ابنة له يستطيع أن يدخل غرفتها وينام جانبها دون حرج، وينجب إخوة لها من والدتها.

- هي ابنتي ويشهد الله يا أمي

يقولها أحمد باندفاع وحب يظهر جليًّا بحديثه

ثم يتابع:

- وهل أنا قصرت بهذا أو أظهرت غير هذا منذ وفاة سعد؟

هل بدا لك غير هذا!

يسأل أمه وهو يعرف الإجابة

- لم تقصر ولكن وجودك لساعات معها ومع والدتها هذا أمر غير شرعي

- كيف لم أفهم!

يرد أحمد بتعجب

- أنا ألتقي بحنان هنا ومعك إذا رغبتِ هذا، ولن أطرق باب غرفة حنان بعد اليوم

تنظر له العمة أم سعد نظرة حادة وتقول:

- الخميس القادم بعد أربعة أيام سوف يعقد قرانك على ورد.

يقاطعها أحمد ويقف بمكانه وهو يضع يديه على رأسه ويقول:

- كيف يا أمي؟

أنتِ تعرفين جيّدًا علاقتي بخلود ابنة جارنا أبي عبد الله والتي أحبها منذ طفولتي

هل تعرفين أننا اتفقنا على الزواج!

هل تريدي تحطيمي وكسر قلبها!

ومن أجل من!

طفلة صغيرة هي بالأساس بمثابة ابنتي ولن أقصر معها..

- أحمد

تزجره بصوت عال.

- أمي أرجوك هذه الفكرة أرفضها تمامًا، ثم... لن تقبل ورد بهذا

أليس هذا صحيحًا يا ورد، تكلمي!

ينظر لي وأنا جالسة وعيني لم تجرؤ على النظر له فقد كان الحديث يجري هكذا وكأني سلعة، الأول يعرضها والآخر يرفضها ولا حول لها ولا قوة..

خرجتُ مسرعة من الغرفة ألملم بعض ما تبقى مني..

سمعت أحمد يصرخ ويتوسل لأمه:

- أمي أرجوك إنها أكبر مني بعشر سنوات وأكثر...

تزوجينني بعجوز!

لن يحصل هذا

وخرج هو أيضًا.

ستدرك مؤخرًا أن عليك تقبل كل شيء... هناك أشياء لا تملك حيالها سوى الصمت، أقلها في اللحظة ذاتها، تترك مجالًا أوسع للصمت وكأنك تأخذ فرصة أكبر ليس لتفكر في ماذا تقول ولكن لتستجمع قواك مرة أخرى، هناك كلمات قادرة على شطرنا لنصفين، وكلمات لها القدرة أيضًا على سفك دماء أرواحنا داخليًّا أشبه بنزيف داخلي، لا يرى للعيان ولكنه يتسبب بموتك.

كيف لهم أن يحددوا مصير روحي وجسدي ومشاعري، وفي الوقت ذاته يرفضك الطرف الآخر ويظهر أسبابه الحقيقية كما هي

لقد انتهكوا حرمة روحي كما فعلها والدي مسبقًا عندما زوجني من رجل لا أحبه، فكيف لي الآن أن أتزوج من رجل لا أعرف عنه شيئًا سوى أنه عم ابنتي والوصيُّ عليها؟!

كيف يتفق أنني بالأمس زوجة الأخ واليوم زوجته!

كيف أقنع ابنتي أنه يحق لعمها أن يلمس يدي ويجلس بجانبي وينام بسرير والدها! وحتى إن كنت لا أملك أي ذكرى لوالدها وأي مشاعر لأحترمها وأصونها..

أنا كمثل المجنون الذي يمارس آخر طقوس الهدوء قبل أن يصرخ.. عندما يبقى وحيدًا يخاف الجدران، وعندما تجتمع حوله الوجوه يخافهم، هو يخاف نفسه..

هل بدأت أخاف نفسي؟

أم أخافهم؟

أم أخاف مصيري الذي يختاره غيري ويجبرني على الركض به كمضمار يبدأ بي وينتهي بي! أن أصل لحافة الشيء ولا أستطيع العودة..

أشعر أني أحتاج كتفًا أتكئ عليه وأبكي دون أن أنبس بحرف واحد، أحتاج لذاك البكاء الذي يأتي كرجفة وتنهيدة ثم دمع متواصل يواسي روحي، أحتاج لأمي التي لا أذكرها، لحضن يتسع لي وأنا في هذا العمر..

ليس من العيب أن تشتهي البكاء وتفتش عن مكان صالح للشكوى... العيب أن أنام وأنا أحمل كل هذا الخزي بداخلي!

لقد عزت عليَّ نفسي كثيرًا!

هل شعرت بهذا من قبل؟

يوم الثلاثاء الساعة السادسة مساء

أكملت خمسة أيام بغرفتي دون الخروج منها... كنت أرفض حتى الطعام الذي كانت تأتي به مها لغرفتي، شهيتي ليست تجاه الأكل معدومة وحسب وإنما تجاه الحياة، تمنيت كثيرًا لو أني لم أفقد ذاكرتي بالتأكيد هناك مخرج بالماضي من هذه الأزمة الروحية التي أمر بها..

صوت العمة أم سعد تطرق بعصاها وبخفة باب الغرفة، لا أعرف لم شعرت بأن قلبي ثقيل جدًّا وأنفاسي متعبة..

- ورد افتحي الباب

صمتُّ

ربما صمتي يرسل لها ظنًّا أني نائمة أو حتى أني لم أسمعها

تطرق الباب من جديد وبقوة أكثر لعلها بالفعل ظنت أني نائمة.. - افتحي يا ورد أعرف أنك تسمعينني، لا أستطيع الوقوف كثيرًا أقدامي متعبة

افتحي الآن.

أنا من أقدامها متعبة وليس أنت... أنا من أقدامها ثقيلة جدًّا جدًّا... سحبت قدميَّ واتجهت ناحية الباب وفتحته ببطء

كنت أقف خلف الباب بشعر غير مرتب وحال يرثى له وعينين متورمتين تشكوان الأرق والبكاء

وشفاه جافة متشققة ووجه ذابل متعب

نظرت لي

ومسحت على رأسي ثم اتجهت مباشرة نحو الكرسي الموجود بغرفتي..

- تعالي اجلسي هنا

تشير بعصاها للكرسي الآخر المحاذي لها

- أنا بخير هنا

أرد عليها وأنا أقف عند الباب أتكئ على مقبضه

- أغلقي الباب وتعالي هنا

بعين حادة ونظرة جادة ونبرة ثقيلة

أقبلت وجلست وبدأت هي بالكلام والمقدمات التي حفظتها عن حبها لسعد ولصغيرته حنان ولوصيته ولخوفها عليها وأشياء مكررة لم تعد لي القدرة على حفظها بعد.. انتهت من هذه المقدمة ولم أرفع عيني تجاهها أبدًا كنت أنظر لزخرفة السجاد لانحنائه خطوط رسماته لقد تتبعت بعيني خطًّا منه ووجدت أنه متصل بالآخر لا نهاية له...

كان إشارة غير جيدة لي وكأن الطريق وكل الطرق تعود لهم مهما حاولت الفكاك..

- اسمعي يا ابنتي

تقولها العمة أم سعد بنبرة النصيحة، هل تعرفون كيف تبدو تلك النبرة؟

- وجودك هنا من أجل سعد أي من أجل ابنته لا أريد لحنان أن تحيا يتيمة الأبوين لهذا ستبقى معك ومعي هنا..

زواجك من أحمد هو الحل الوحيد لتبقي مع ابنتك ورفضك يعني...

قطعت كلامها وقلت:

- يعني؟ خروجي من هذا المنزل؟

- أومأت لي برأسها أن نعم

وأنتِ تعرفين ألّا مكان لك آخر غير هذا المنزل وحتى منزل والدك هو ليس ملكًا له لقد كتبه باسم طليقته هيفاء قبل أن يحصل ما حصل، عاش ميسورًا ومات فقيرًا.

- لا مكان آخر يا ورد

لا أعرف لم تركت كل ما قالته وقادني فضولي لـ (وحصل ما حصل)

ماذا حصل؟!

أرفع رأسي للعمة أم سعد وأجدها مستمرة بحديث الإقناع تارة والتهديد تارة والضغط تارة والترهيب تارة أخرى، هل تصدقون لو قلت لكم إني لم أسمع شيئًا! لقد كنت أرى شفاهًا تتحرك ويدًا تلوح بالهواء وملامح تتقلب بين الهدوء والغضب، لقد كان برأسي موسيقى هادئة سمعتها

بالأمس لا أعرف لم هي تدوي برأسي الآن، كانت موسيقى هادئة متناغمة فيها حياة وتشعرك بالارتياح..

- ها ما رأيك يا ورد بالذي قلته لك؟

غدًا سيكون الشيخ هنا ليعقد قرانك مع أحمد

لقد تكلمت مع أحمد طوال هذه الأيام وهو موافق..

تبسمتُ

تلك الابتسامة التي تشمت بها من القدر الذي يأخذ موافقة الرجل وكأنها البشارة

- أنا موافقة

وبهذا رفعت الجلسة...

وخرجت أنا من الغرفة وتركت لها دوائر السجادة الملونة والكراسي والموسيقى التي ما زالت تدوي برأسي أيضًا..

الفصل السابع

(نحن لا نملك الصلاحية لتغيير الأقدار لكننا نستطيع
معايشتها بطريقة ما ، وتستمر الحياة)

يوم الأربعاء الساعة الرابعة عصرًا وأمام المرآة أهندم مظهري لأبدو أجمل مما تظن مرآتي فلم تشهد على حسني يومًا

اسمي ورد

عمري ٤٤ عامًا

وعمري الحقيقي خمسة أشهر ونصف الشهر

اليوم عقد قراني الأول الذي أحضره وأنا بكامل ذاكرتي، فزواجي الأول ابتلعه النسيان لا أذكر منه شيئًا...

الشيء المشترك الوحيد أني حضرتهما جميعًا بلا روح وبلا حب وبلا مقدمات، لا شعور مختلفًا أشعر به الآن..

حضرت مها، وهي من تولت أمر زينتي وتجهيزي لهذا اليوم واشترت لي أيضًا ثوبًا ذهبيًّا بأكمام طويلة شفافة فبدا ذراعايَ ممتلئين نسبيًّا ، حجر من الكريستال اللامع مرصوص من جهة الصدر وبطبقات من التل ويضيق من الخصر، لقد بدا أيضًا شكل بطني واضحًا لم أخجل منها ولم أقتنع بإخفائها رغم محاولات مها معي.

يتسع الفستان بموديله شيئًا فشيئًا، طويل بما يكفي ليغطي آخر الكعب الذي جعلني أبدو أطول مما أنا عليه..

لم أكن جميلة كما قالت لي حياة صاحبة اللسان السليط.. لكن أنا من تكفل بترميم آخر تجعيدة سببها لي الكدر في الأيام الماضية، حاولت أن أبدو بمساحيق أقل ليظهر وجهي كما أحب بملامحي الهادئة والطبيعية دون تدخل للتجميل بهذا، لقد كانت حنان تساعدني بلبس طقم الذهب

الذي قدمته لي العمة أم سعد بهذه المناسبة لأبدو بحلة بهيّة أمام ابنها الثاني...

أتساءل لماذا تتمسك بي ليتكرر وجهي أمامها بكل مرة!

هل جربت أن تحضر مناسبة لك وتكون بها مدعوًّا؟

أن تتجهز لها لتبدو أجمل وليس لأنك ستكون أنت صاحب الحفلة أو حتى لتكوني أنتِ العروس، هل قلت العروس؟ إنها كلمة غريبة كيف لي أن يكون هذا هو بالفعل يوم عرسي وأنا خاوية من أي مشاعر وأعرف تمامًا أني سأكون زوجة لرجل يصغرني بسبعة أعوام وليس بعشرة أعوام كما يقول، ويعشق غيري!

لا أعرف كيف سيبدو مظهري أمامه وهو من قال إني عجوز وصرخ بها رافضًا فكرة الارتباط هذه!

في أحيانٍ كثيرة لا تعرف كيف تسير الأمور ولا كيف تبدو لكنك بالنهاية أنت موجود بداخل كل هذا وتسير بك الأقدار كيف ما شاءت.

دفتر كبير وصفحة بيضاء مكتوب بها اسمي واسم أحمد والشهود ومطلوب توقيع وبصمة، لأكون زوجة مرة أخرى وكأني أجدد عقد السكن الدائم هنا.

وانتهى كل شيء دون أي بوادر للفرح همست لي مها: مبارك يا ورد...

ونظرت لي العمة نظرة الرضا أخيرًا مع ابتسامة الانتصار.

لم هناك حضور كأي مناسبة زواج حتى ولو عائلية، لم يكن هناك قصيدة تزفني أو تصفيق يشعرني بأجواء الفرح وربما يدخلني بالأجواء التي أنا بها، لم يكن غير نظرات الجارات الثلاث واللاتي تعمدت العمة أم سعد دعوتهن ليتكفلن بنقل الخبر للجميع، أي شخص بموقفي هذا سيخمن وشوشاتهن عن ماذا، إنها عني بالتأكيد وعن العمة وكيف أنها زوجتني لابنها الآخر وبعد خروجي من العدة مباشرة، وقت العشاء تنادي مها على الضيوف:

- حياكم الله

وتصطحبني معها وهي تعقد ذراعها بذراعي وتسمعني كلمات مداعبة لطيفة لتخفف من حدة توتري

تدخلني غرفتي وتقول:

- أحمد قادم الآن...ابتسمي يا عروسنا الجميلة.

ما أن أغلقت الباب حتى سمعت صوتها تتحدث مع أحمد ولم أسمع منه ردًّا على ما قالته.

دخل أحمد بوجه شاحب متعب مليء بالكلام الذي لا يقال، لم ينظر لي البتة... رمى بمفتاح سيارته ومحفظته على الطاولة ونزع شماغه مطويًّا بعقاله.

ظل واقفًا وأنا أجلس على طرف السرير

- هل أنتِ راضية عن هذا؟

يسألني بصوت يملؤه الغضب

صمتُّ

يعاود السؤال مرة أخرى:

- كيف تريدين مني أن أنام على سرير أخي هُنا وفي مكانه نفسه! قشعريرة دبت بجسدي ولا أزال صامتة

ويكمل بعد أن أخذ نفسًا أعمق:

- أنا أحب خلود (ابنة الجيران) منذ طفولتي ولن أتنازل عنها لكونك أنتِ بحياتي، لقد وعدتها ألّا أمسّكِ أبدًا.

ليكن هذا الزواج صوريًّا فقط...

أرجوك فـ أنا لا أرغب بك وأعرف أنك لست راغبة بي ولكن كلينا ضحية لطلب والدتي

خرجت عن صمتي وقلت:

- أنا أيضًا أريد هذا.

ثم نهضت من مكاني ودخلت الغرفة الأخرى المجاورة لغرفتي مباشرة والتي يفصلها عن غرفته باب داخلي

وانتهى الحديث حينها.

رجعت لغرفتي في الجناح ويفصلنا باب واحد والكثير من التنهدات ، عدت أمسك أكفي وحدي ، متعرقة الجسد مما سمعت ومنتفضة الأطراف وبداخلي صرخة ابتلعتها للتو وتحاول الخروج متقطعة من صدري

عدت لأهندم نفسي من جديد ،لتعود ورد دون هذه المساحيق ودون هذا الفستان الذي أعاق حركتي وسبب لي تهيجًا بجسدي الذي لا يطيق هذا النوع من الأقمشة لأنه لم يعتد عليها ..

نزعت فستاني وكنت أحتاج لمساعدة حتى أصل للسحاب من المنتصف حيث علق هناك ،كنت أتحرك بمكاني ويدي ثقيلة جدّاً لتصل ،لا أعرف ما الذي دفعني لأمزق فستاني وهو بجسدي لقد شددته بقوة حتى انقطع السحاب وبعدها توليت أمر تمزيقه ، لقد كان فستان الفرح الذي حمل بهجتي وها هو تحول لحكاية تحمل بداية قصة مأساتي ..

جلست أمام مرآتي مرة أخرى ولقد تلطخ وجهي بالكحل من آثار دمعي ، بدأت بإزالته ،لم أستخدم أي مزيلٍ لهذا ،لقد كان دمعي وفيراً وتكفل بإزاحة آخر خط للكحل بعيني ..

لممت شعري وحضنت وسادتي واستودعت الله قلبي وما أشعر ..

ورقة بيضاء وحبر سري..

لا بد أن قدري كتب على ورقة بيضاء بحبر سري لا يتضح لي ما يخفيه إلا بعد أن تبلل بالدمع، ما الذي يجب أن أقوله أو أن أفعله، كل الذين هم من حولي ثرثارون يبحثون عن مصلحة واحدة يطبقون قانون العمة

الذي يسري على الجميع ولا مفر منه، ليس هناك من أستشيره ليقوم اعوجاج روحي لقد حفظت كل طرائقهم بتهدئتي حتى مللتها.

ما بال يديّ متعرقتين جدًّا؟ لماذا يخفق قلبي بشدة وعيناي ممتلئتان بالدمع؟ لم أكن أحب هذا الرجل حتى يحصل لي ما حصل، لم آبه لما يقوله أو ما سيقوله لاحقًا!

لا بأس إن تزوج بحبيبته وربما زواجنا الصوري هو راحة لنا جميعًا..

له وللعمة ولي أيضًا السؤال الذي ينخر برأسي الآن

هل أجرمت بحق نفسي بهذا القرار؟

(عزيزي القارئ.. ما دمت تقرأ هذه الرواية فكن على يقين بأن قناة ضَاد هي من قامت بتوفير هذه النسخة! لذا تأكد من أنك تقرأها من قناتنا الرسمية على تطبيق تيليجرام. نعتذر على مقاطعتك، نتمنى لك قراءة ممتعة).

هل أجرم أحمد بهذه الكلمات وبهذا الوقت بالتحديد؟

الوقت سيكشف كل شيء... لله روحي وما تشعر به الآن..

الحياة مسرحية كبيرة، نحن أبطالها ونحن من يكتب الحكاية ونحن من يجيد التمثيل بها والجمهور يصفق لنا بحرارة وهذا ما يحدث بمنزلنا العامر، لقد كُتب لنا سيناريو محبوك جدًّا بأدق هوامشه وتفاصيله، متى علينا أن نضحك ومتى نتوقف عن هذا، وهكذا بدأنا رحلة التمثيل أنا وأحمد أمام العمة أم سعد...

نخرج معًا من الغرفة كل صباح أجهز له الإفطار ويودعني بابتسامة قبل الذهاب للعمل... تذكرت الأفلام المصرية في الخمسينيات وكيف كانت

ممتعة للمشاهدة دون ملل، كنا ممتعين للمشاهدة لأن دواخلنا فارغة تمامًا من الشعور المتبادل، لكنه ممتلئ بخلود وأنا ممتلئة بكل شيء عداه..

العمة أم سعد ارتاحت أخيرًا وتنفست الصعداء.

وحنان سعيدة لأن (عمو) أحمد أصبح ينام بجانبها ويأخذها حيث تريد ويشتري لها ما تشتهي... لا أعرف هل هي عبء جديد مكلَّفٌ به أحمد أو أنها العاطفة كما اعتاد أن يفعل كل هذا معها من قبل.

الأكيد أنني مثقلة جدًّا من الداخل، أشعر كما لو أني أود الطيران بعيدًا أفرد أجنحة روحي وأحلّق، أترك للريح مسؤولية الوجهة، بالتأكيد ستختار لي مصيرًا أفضل من هذا، أحلّق خفيفة لا أحمل فوق ظهري شيئًا يثقله... أطير ولا أفكر بالوجهة ولا بالعودة..

هل تمنيت الطيران يومًا؟!

الفصل الثامن

(أغلق فم قلبك... ومارس الجنون)

عند الساعة الواحدة تمامًا يبدأ صوت همسات أحمد يعلو وصوت ضحكاته التي لا يستطيع السيطرة عليها ويكتمها تحت اللحاف وأسمعها أنا رغم المسافة التي تفصلنا بمقدار أمتار، كل منا ينام على حدة وهذا ما اتفقنا عليه، لكن صوت همساته مع خطيبته خلود كان يثير غضبي بطريقة أو بأخرى وبكل مرة أتظاهر أني أغط بنوم عميق فقط لأستمع له وهو بذروة عشقه وهيامه.. وأنا بذروة انكساري الذي لا حيلة لي به.

عرفت بعد فترة من استمرار المكالمات وبالتوقيت ذاته وبالمدة الزمنية نفسها التي يقضيها معها والتي بدأت تقل ساعاتها أنه لم يعشقها أبدًا...إنه الحب الباهت الذي يأتي من الاعتياد، لقد اعتاد مقابلتها والحديث معها منذ طفولته حتى المراهقة حتى الآن.. أنا لا أومن بمثل هذا الحب وأعرف جيّدًا أنه سينتهي يومًا إما بالزواج أو الفشل، وفي كلتا الحالتين لن تعلو وتيرته، أعرف هذا من حديث أحمد الذي يبدأ بكلمات الاشتياق وينتهي ب (اسمحي لي بالنوم) ويغلق الهاتف دون أن يتنهد أو حتى يأخذه التفكير ولو لثوانٍ في عالم آخر، هو ينتهي من المكالمة ليغط بنوم عميق

وكأنه واجب انتهى منه مؤخرًا.

ربما أنا أوهم نفسي بهذا كله!

ربما أحمد يعشقها بصدق وإلا لما استمات دفاعًا عن حبه الأول والأوحد عند والدته ورفض قطعًا فكرة الزواج من أخرى.

ربما بالفعل يعشقها لهذا قرر أن يجعل عقدنا صوريًّا! ربما وربما

وأسأل نفسي..

هل الحب باهتٌ كما أراه بصورة أحمد وخلود!

أم هناك لونٌ آخر لم أكتشفه بعد.

عليك ..

أن تساير الواقع لتكون إنسانا حقيقيًّا، رغم الإخفاقات الصغيرة

أن تدرب نفسك على واقعك الجديد

لا تنتظر من أحد أن يشيد بك

أو حتى يصفق لك

عليك ألّا تهتم لما يجري حولك ولا لغياب من اختار الغياب

ولا تنتظر ورقة وداع على الطاولة

عليك أن تجيد قراءة الوجوه جيّدًا

وتدرك تواريخ صلاحيتها حولك

وتحاول التخلص منها قبل أن تتسمم روحك بأحدها.

أن تدرك مؤخرًا ألّا وجود لبطل خارق

وأننا مجموعة من حالات الفشل والنجاح

من الحزن والفرح

من الخيبة والانتصار

وأن الحياة الكاملة لا وجود لها إلا في القصص والحكايات.

الساعة الخامسة والنصف مساء

موعد عودة حياة من عملها والذي يصادف في العادة وقت جلوسي مع العمة أم سعد، لم أكن أحب هذا النوع الطويل من المجاملات والجلوس لتناول أحاديث لا أتذكرها ولكن تجبرني حنان على هذا كل مرة. وأيضًا أنا أتجنب حياة ولسانها السليط الذي يترك ندبة بقلبي من ذاكرة الماضي الذي لا أعرف عنه شيئًا.

دخلت حياة وليست كعادتها، بصوتها العالي وهي تأمر الخادمة بأن تجهز لها الغداء، أو تذمرها من اليوم الطويل بالعمل دون أن تنسى أن تحمّلنا العالي وهي تأمر الخادمة بأن تجهز لها الغداء، أو تذمرها من اليوم الطويل بالعمل دون أن تنسى أن تحمّلنا مسؤولية الزحام بالطرقات وتريد حلًّا لهذا، الموال نفسه يعاد بكل مرة، إلا هذه المرة لقد كانت هادئة باهتة جدًّا ومرهقة وتشكو من شيء واحد وهو جفاف بالحلق وارتفاع بدرجة الحرارة..

لقد كانت كل الأعراض توحي بأنها مصابة بفايروس كورونا، هذا الوباء الذي سبب رعبًا في كل منزل دخله، انتشاره سريع وبعضه مميت، اقتربت من العمة أم سعد وقبلت رأسها

حياة...

قلت لها بهمس:

- يبدو أنك متعبة جدًّا ألا تخافين أن تكوني مصابة؟

ردت بتثاقل:

- لا لا أظن هذا، لقد أخذتُ دشًّا دافئًا في الصباح وتعرضتُ بعده لهواء غرفتي البارد ربما هو السبب، ثم لا علاقة لك

همستُ:

- يفضل الفحص إذًا، للحيطة...

- لا تخافي الفايروس لا ينتقل لأصحاب السوابق وخريجي المصحّات النفسية وتشير يدها بحركات تظن أنها ستغيظني بها، هي تعرف أني فقدت ذاكرتي التي تحمل كل السوء عنها، وبدأت من جديد بطريقتها الممتلئة بالحقد غير المبرر.

قالتها لي وكعادتها التي لا تكف عنها.

لم أنبس بحرف واحد.

أخذت ابنتي وتوجهت مسرعة لغرفتي ،خشية من المرض فلقد قتل هذا الفايروس والدي، كان الخوف أكبر من أني أقف حتى أرد على ما قالته لي.

لم تكن العمة أم سعد راضية عن أفعال حياة وكانت تخبرني كثيرًا أن حياة تغيرت مؤخرًا بعد ما فقدت جنينها في شهرها التاسع، لقد ولدته ميتًا، وعاشت فترة اكتئاب لم يطق زوجها أن يعيشها معها فطلّقها..

أصبحت قاسية جدًّا على نفسها وأحلامها والحياة،

الشخص الذي يبكي كثيرًا لحزن فهو يعيشه بكامل روحه حتى يدخل مرحلة اللاوعي ويدرك أن عليه أن يطفو بوجه آخر أمام الناس، بعيدًا

عن الفقد هو يظهر القوة، وبعيدًا عن الخيبة هو يظهر الانتصار، وبعيدًا عن الانكسار هو يتظاهر بالجبروت على الآخرين.

لم يكن كل هذا ليشفع لها، كنت أراها -ولا أزال- إنسانًا يقسو كثيرًا، فلا يحق لشخص يعاني أن يجعل الجميع يعانون معه،

أنا أعاني كثيرًا من قسوة حياة

ولكن أعرف جيّدًا أنها أضعف من أن أوجه لها كلامًا أو حتى أدافع عن نفسي هي واجهة شرسة ولكنها ضعيفة هشة جدًّا في الواقع (الفقد، الانكسار، التخلي، الخيبة، انطفاء الحلم) هي تعاني من هذا كله ،هي تحتاج لمن ينتشلها، ولست مخولة للقيام بهذا الدور، طالما أنها لم تساعد هي نفسها.

لا بد أن نعي أننا لسنا أطباء نفسيين ولا نافذة يطل منها كل رأس ينوي الانتحار...

هُنا عليك أن تبتعد فقط

وتسمو بروحك.

الفصل التاسع
(كورونا ولعبة الحب والفقد)

حياة مصابة

والعمة أم سعد مصابة الخادمة مصابة

الفايروس ينتشر بيننا وحياة من جاءت به من بيئة عملها وقلة احترازها..

مها وأحمد والجميع قلقون جدًّا على حالة العمة أم سعد، فلقد كانت مها تشرف عليها من بعيد وأحمد أيضًا، لا أعرف لم كان ينتابني خوف على أحمد كلما دخل لوالدته رغم الاحترازات الوقائية، ربما هو خوف أن ينقل الفايروس لابنتي وربما خوف عليه هو أيضًا.

الخوف الذي تخافه، القدر الذي تتحاشاه، الطريق الذي تتجنب المشي فيه، الوقت الذي لا تود أن يمر عليك، اللحظات التي تمر من عندها حذرًا ورغم هذا تمر بك..

جميعها ستحصل لك

مرض أحمد.. وتأزم وضع والدته ونقلت للعناية المشددة نقص حاد بالأكسجين وصعوبة بالتنفس.. الفايروس يضرب برئتها ويهاجم خلاياها دون رحمة كان القلق هو المسيطر ولا حيلة لنا إلا الدعاء..

في اليوم الرابع من إصابة أحمد بالفايروس، جسده يرتعش من شدة الحرارة كان يتلحف بالأغطية ويشكو البرودة بأطرافه وجسده ينتفض ويردد كلمات غير مفهومة وكأنه يهذي بها من شدة ما يعاني، صوت سعاله الحاد كان يجعلني أنهض من سريري وأصل للباب الفاصل بين غرفته وغرفتي ثم بتردد أعود وأتذكر أنه لا يحق لي دخول غرفته أو الاقتراب منه، ليس من المرض وإنما من العهد والاتفاق الذي أبرمناه بيننا منذ أول يوم زواج.

- أمي... أمي

ينادي أحمد بصوت مخنوق...

أسمعه وقلبي يكاد ينفطر لحاله

أطل عليه من الباب الفاصل بيننا وأنادي:

- أحمد هل أنت بخير؟

هل تحتاج لشيء؟

لا تنسَ دواءك بعد نصف ساعة من الآن، لا تخف سأذكرك في وقتها.

يصمت هو دون رد.

عدت لغرفتي ولا حيلة لي مع مرضه، كنت أنتظر أن تمر نصف ساعة حتى أذكره بموعد دوائه... لكني وجدت نفسي أنتظر انقضاء الوقت وأنا بجانبه ومعي وعاء به ماء فاتر وقطعة قماش مبللة أعصرها وأمررها على جبينه المشتعل

وفمه المرتجف، لقد كانت يداي ترتجفان أيضًا، للمرة الأولى أقترب منه ولا مسافة فاصلة بيننا، لقد انهمر دمعي ليبلل الكمامة وتعرقت يداي تحت القفاز البلاستيكي ونبضات قلبي لم تهدأ..

فتح عينه ببطء وقال:

- لا يجب عليك أن تكوني هنا، اذهبي لغرفتك أنا بخير

تركت كل شيء حتى قطعة القماش المبللة على رأسه، وبخطوات سريعة توجهت لغرفتي خجلًا من نفسي التي سمحت لها بالاقتراب لهذا الحد.

لقد كنت أعزيها بقول: (ربما هو خائف من انتقال الفايروس لا أكثر)

لم يستمر مرض العمة كثيرًا حتى فجعنا بخبر وفاتها الذي كان كصاعقة على قلوب أبنائها والعائلة التي لم يهدأ بعد جرحها بفقد ابنهم سعد لينفتح الجرح من جديد وينزف طويلًا..

صوت الفاجعة مؤلم، تذكرت صراخ أخواتي يوم وفاة والدي وكأنه اللحظة، انتشارهن بمكان واحد وكل زاوية تشهد بالدمع والعجز والدعوات التي تتوسل إلى الله بالثبات.

عرفت العمة لأشهر فقط لكنها كانت بمثابة سنوات، فلم تفتر لحظة عن محاولتها إحياء ذاكرتي ولم تهدأ حتى تطمئن عليَّ وعلى حنان...الوصية التي تركها سعد لها وهي بدورها تركتها لأحمد

وكأنها تشعر بما هو آت

هل نشعر بالفعل بقرب الأجل ونستدرك كل شيء ونصححه وربما نخلق لها حياة أخرى من غيرنا !

لقد كانت مها تصرخ بوجه حياة وتتهمها بأنها أول من جاءت بهذا الفايروس اللعين للمنزل

- وهل يعني هذا أني أنا السببُ بموت أمي؟

هذا ما قالته حياة وهي تصرخ أيضًا:

- تهاونك وقلة مسؤوليتك وغباؤك هي من فعلت هذا..

لقد قتلتِ أمي مرات عديدة وهي تفكر بك وبتحولك وشخصيتك التي لم تعرفها بأسلوبك وسلاطة لسانك وعنجهيتك، لقد قتلتني مرة بفعلتك مع سلطان وها أنتِ تفعلينها مع أمي بهذا الفايروس، أنتِ لعنة على هذه العائلة، أينما حللت تحل الكآبة وأينما توجهت تقلبين الموازين.

تنظر لها حياة وقد جف الدمع من عينها

- لا وقت لهذا كله، لقد مت قبل أمي بسنوات، لقد قتلني غياب الحياة عني

وفقد صغيري الذي لم أسمع صوته وخيبتي برجل وثقت به وظننته العون والسند، ثم قتلني الناس مرارًا بنظراتهم ووشوشاتهم

كيف لا يخلق كل هذا مني شخصًا آخر؟

تلتفت لي حياة وتكمل لتقول:

- أنا لا أكرهك يا ورد، وكم تمنيت ذاكرتك اللعينة التي فقدتها بسبب نقص الأكسجين الذي أتلف الآلاف من الخلايا بدماغك اللعين هذا وأفقدك جزءًا من ذاكرة لو عرفتِ تفاصيلها لهلكتِ..

أحتاج هذا كله، لقد حاولت بطريقة أو أخرى أن أجعلك بائسة جدًّا من ماضٍ تركك ورحل بكل ما فيه وحاضر بدأ معك وكأنك مولودة جديدة

أنا لا أكرهك بل أكره الذاكرة التي تعتصرني وتخلق مني في كل يوم شخصًا آخر لا أعرفه، متقلب المزاج وعنيدًا ويكره كل شيء ولا يحب حتى نفسه

لم أكن كذلك...الخيبة هي من جعلتني أبدو بصورة غير حقيقية.. أمي الوحيدة التي كانت قادرة على تهذيبي وكانت تحاول أن تجعلني أستعيد نفسي، فكيف لي أن أقتلها

(تبكي بشدة)

وأبكي أنا

الصدمات حيلة العقل ليستعيد توازنه من جديد.

أحيانًا الأقدار التي تشعر أنها فاجعة روحية، تجد من يهنئك عليها ويتمناها، هل فقدان الذاكرة أمر يدعو للغبطة!

كيف أخبرها أني لست مولودًا جديدًا للتو يتعرف على الحياة بلا ماضٍ يذكره الجميع إلا هو!

أنا موجوعة حد العجز الذي يجعلني أعيش مع رجل يحيا على ذاكرة أخيه المتوفى وكأنه ترك له بعضَه على وسادته، موجوعة مع طفلة تناديني ماما ولا أتذكر أولى صراختها ولا أولى ضحكاتها ولا مرضها ولا حتى أولى خطواتها!

أنا لا أذكر إن كنت مثقفة أم جاهلة ،متعلمة أم غير متعلمة، هل كان لي أهداف كنت أسعى إلى تحقيقها، أم أني مجرد ورقة ممزقة بحاوية قمامة مكتوب عليها هوامش لا تعني لأحدهم شيئًا!

كيف لحياة أن تتمنى قدرًا لم تعشه، وذاكرة مرهقة ممزقة من التفكير والحزن!

تذكرت حادثة منذ أيام حصلت حينما طلبت مني ابنتي أن أقطع لها تفاحة، وبالفعل قطعتها لأجزاء وأعطيتها إياها... ردتها لي وقالت: أحبها بدون قشر وأزيلي النواة.

قشرتها وأنا أفكر برغبات البشر بعيدًا عن طفلتي، كيف لا يقبلوننا أحيانًا بما نحن عليه ويريدون التخلص من شيء بنا ليستسيغوا طعمنا ويقبلونا حينها... ربما التقطيع لا يجدي فيطلب أن تزال القشور واللب وربما يريدنا (عصرًا) بكل ما فينا ولكن دون أن نأتي له كما نحن.

هذه هي الطبيعة البشرية ومن الصعب أن نجد شخصًا يقبل بنا كما نحن وبدون قشرتها وأنا أفكر برغبات البشر بعيدًا عن طفلتي، كيف لا يقبلوننا أحيانًا بما نحن عليه ويريدون التخلص من شيء بنا ليستسيغوا طعمنا ويقبلونا حينها... ربما التقطيع لا يجدي فيطلب أن تزال القشور واللب وربما يريدنا (عصرًا) بكل ما فينا ولكن دون أن نأتي له كما نحن.

هذه هي الطبيعة البشرية ومن الصعب أن نجد شخصًا يقبل بنا كما نحن وبدون أن نضطر لإعادة هيكلة وجودنا ليستسيغنا.

كيف يريدني أحمد!

وكيف تريدني حياة!

وابنتي!

هل من أحد حولك يريدك كما أنت؟! بقشورك وندبات روحك والجزء المتعفن بك!

انتهت أيام العزاء وأحمد لم يغادر غرفته...

كان كل وجعه أنه لم يستطع دفن والدته ولا حتى أخذ عزائها، لم يكن عليه هيِّنًا ولم أجرؤ على قول شيء حيال هذا

لقد كان ينتحب بكل ليلة على سجادة صلاته وكأنه طفل أضاع والدته في الزحام ولم يجد من يحضنه ويطمئن قلبه

كنت أعرف أن الفقد موجع من شدة ما كان يجد.

وكنت أتوقع أنه سيتصل بخطيبته خلود أو ربما هي تتصل وكم كنت أتمنى هذا لتخفف عنه. لكنها لم تفعل!

قبيل الفجر وبعد أن انتهى من نوبة بكائه المعتادة كان يجلس متكوّرًا فوق سجادته لساعات لا يكلم أحدًا ولا يرغب بهذا، وكل محاولاتي كانت تبوء بالفشل، اقتربت هذه المرة منه ولم أكتف بالكلام معه من مسافة تفصلنا كعادة الأيام التي مضت وضعت كفي المرتجف بتردد

وضغطت بخفة عليه وقلت:

- هل البكاء يُعيد لك ما فقدت؟

لم يتحرك ولم ينظر لي

وأكملت:

- إذا كان يفعل هذا وقادرًا على أن يعيد لنا من فقدنا فلنبكِ معًا إذًا

يتنهد وينزل رأسه ويضم قدميه لصدره ويلف يديه عليهما

أمسكت بكف يده وقلت:

- أنت من تبقّى لحنان ولنا جميعًا، ولا تنس وصية والدتك بنا

أنا أحتاجك

رفع رأسه ونظر لي

تداركت نفسي وقلت:

- نحن نحتاجك...

هون على روحك بالدعاء والصدقة، وحالك هذا لن يرضي والدتك

تعال معي لقد جهزت لك عصيرًا باردًا وشيئًا تأكله.

يشير لي بيده ألّا رغبة له بالطعام

- إذاً أترك المهمة للشقية حنان وهي من ستجعلك تأكل

هي أيضًا تحتاج من يشجعها بعد فقد جدتها

أرجوك.

استمر حديثي معه لنصف ساعة، ذكرته بكل شيء أتذكره حتى يستطيع تجاوز هذه الأزمة، بصوت هادئ وخافت حتى لا تستفيق أوجاعه كنت أحكي له عن يوميات حنان وماذا رسمت اليوم وطلباتها الصغيرة وأمنياتها المحالة وأنها تنوي أن تتزوج بعمتها مها حتى لا يتزوجها رجل ويبعدها عنها، وأضحك، لقد ابتسم أخيرًا.

نهضت من مكاني معه وأنا أمسك بذراعه أساعده على النهوض ليخرج أخيرًا من غرفته لغرفة المعيشة التي اعتاد أن يجلس فيها مع والدته حيث كانت تجلس أختاه مها وحياة.

كانت خطوة رائعة وأعتبره إنجازًا لي لأنني استطعت وبعد محاولات أن أجعله يخرج من عزلته، هو يحتاج الجلوس مع أسرته أكثر من أي وقت مضى.

لا أعرف لماذا أشتم يدي الآن وأحضنها لصدري؟

هل لأنها للمرة الأولى تلامس أحمد!

لماذا يرتجف قلبي إذًا؟!

من هُنا عرفت أني وقعت في حب أحمد، عرفت أنه وجهة قلبي التي أسمو لها، والتي أتسلق روحي لأحظى بابتسامته ورؤية عينيه لدقائق.. الحب الذي يرتجف له قلبك هو الأصدق والأعمق ليس الذي جاء بالتخطيط له ولكن قادتك له المصادفة، هو النصيب الذي رضيت به والقسمة التي حمدت الله عليها..

الفصل العاشر

(الواقع هو أشد أنواع السجون حراسة)
انتبه

(الواقع هو أشد أنواع السجون حراسة)

هل فكرت بهذا يومًا، أن يكون واقعك هو أشد أنواع السجون حراسة!

ألّا تستطيع أن تنفك منه لأنه واقعك الذي تحاول أن تتحايل عليه وتخرج منه وتصنع لك خيالًا أو ظلًّا آخر وسرعان ما تعاود فتلتصق بواقعك وتصحو عليه وتعايشه.

مرض أحمد ووفاة والدته كان أشد مصاب وضائقة يمر بها على حسب تعبيره، لقد مرّت عدة أشهر على هذا وما زلت أواسي أحمد وأقف بجانبه وكأنه طفل بحاجة لرعاية واهتمام، أشعر أحيانًا أن اختيار العمة لي صائبٌ ليتزوج أنثى تكبره بأعوام كي تنوب عنها بعد وفاتها وتمنحه الاهتمام!

أمر مضحك بعض الشيء لكني كنت أفعل هذا من حبٍّ أيضًا... أصبح لأحمد حيزٌ كبيرٌ بداخلي، أنتظر صحوه لأسمع أولى الكلمات التي تخرج من حنجرته التي يشقّها الصحو، تبدو مختلفة وترسخ بطينة روحي لتنبت وردًا وزهرًا طوال يومي، أتصل به بعد ما أملّ وقتي بدونه وهو غارق بانشغاله فقط لأخبره أن حنان اشتاقت إليه وتسأل عن عودته وبالواقع أنا من اشتاق!

أتذرع بأي شيء لأجلس معه وقتًا أطول... أنا أكره الوقت الذي يبقى به جالسًا بالسيارة وقبل أن ينزل للبيت لأني أعرف لحظتها أنه يكلّم خلود وبعيدًا عني، حيث إنه لم يعد يكلّمها لساعات طويلة داخل المنزل ويكتفي بمحادثتها بالخارج وربما الخروج معها..

هذه الفكرة كانت تقتلني ولكني مسلّمة لها، هو لي صوريًّا ولها كاملًا ومسألة وقت لينتقل هو أيضًا لسريرها كي تشاركه نبراته الأولى بعد صحوه.

لم أطل التفكير كثيرًا وكنت أستمتع بهذه المشاعر الصغيرة كانت تصنع يومي، من لحظة صحوه لحين نومه.

الواقع فقط من كان يبعدني عنه ويجعلني مجرد خيال بيوم أحمد، لا يزال يناديني أم حنان ويناديها حبيبتي...

ولا يزال يشكرني عندما أقدم له شيئًا ولا يزال يحترمني جدًّا..

كنت أريد تلك الخلافات التي تثير الحب والغيرة بداخله، صراخه وغضبه وحتى اسمي كنت أريد أن يقوله كما هو لأشعر أني بداخله..

هو دائمًا ممتنٌّ لي وهذا ما يجعلني أتيقن أن الامتنان لا يكون مع من نحب فالحب مجرد تمامًا من كل الأساليب الشكلية التي نستخدمها مع الآخرين

ربما بالفعل لا أحد بداخله سوى خلود.

لا جديد

وكأن الأيام تعيد نفسها وكأنني أتنفس هواء الأمس...

الجميع منشغل بعمله وحياته وأحلامه التي يسعى لها وربما لم يكن كذلك لكن وجوده وسط منظومة عمل وساعات محددة هذا بحد ذاته انشغال، لم أكن أطمح لمثله ولم تكن لدي الرغبة بهذا ومع الجائحة

ازدادت البطالة، لم أكن منهم لأنني لم أعمل يومًا، على وشك انتهاء الجائحة وعودة الحياة وسيتحسن كل شيء وتتعافى الحياة من جديد.

الروتين قاتل، كل ملامحك تذبل وقواك تهرم إن لم تجد مخرجًا من هذا.. لقد حاولت كثيرًا أن أخرج لأتنفس بطريقة أخرى فجلست بمقاهٍ لعدة ساعات أتأمل كل شيء.. الوجوه وأكواب القهوة وعقدة حاجب ذاك الرجل وهو يقرأ رسالة ما بهاتفه بالمقابل صوت ضحكات من مراهقات يشربنَ القهوة مثلجة، وهناك من يعتكف لساعات على جهازه المحمول يحاول أن ينهي عملًا ما خارج نطاق العمل، هاربًا من هدوء المكتب لضوضاء المقهى..

ذاك التأمل جعل مراقبة الناس متعة وقتية، سرعان ما تشعرك بالملل مرة أخرى.. أذكر حديثًا لطيفًا عابرًا بإحدى المرات التي كنت بها في مقهى داخل مجمع تجاري، لقد ظهرت أمامي مباشرة وسألتني بصوت منخفض:

- (نقابات)،هل تودين الشراء؟

كيس مهترئ معلق على ذراعها الأيمن ونقاب وجه تمسكه بيدها وتلوح به أمامي، لم أكن بحاجة النقاب بقدر ما أنا بحاجة الحديث معها، فسألتها عن السعر وعن جودة القماش المستخدم وكيف حاله مع الغسيل وكانت كل إجاباتها أنه جيد

ثم قلت:

- وهل هذا العمل مربح لك؟

يسد حاجتك

ردت قائلة:

- خير من الله، هذا ما بوسعي عمله وطالما هناك شيء أستطيع فعله فلمَ لا؟

- هذا مُتعب لامرأة بعمرك.

تبسمت قائلة:

وجلوسك لساعات هُنا ألم يتعبك؟!

شعرت حينها أنها تعرف المكان جيّدًا وربما تعرف أن البطالة هي هروب من أي عمل متاح وربما الفراغ كانت واضحَةً ملامحه على وجهي.

ظل كلامها يدور كثيرًا برأسي وقررت أن أجدني بمكان آخر... بهواية وتجربة وعمل تخلصني من هذا الروتين وربما تخلصني من كآبة الانتظار، انتظار ما ليس بآت.

ربما هي هاربة أيضًا، وربما بحاجة العمل والبيع، لكنها وجدت نفسها بمكان ما وبقيت هناك.

(ولقد دعوتك موقنًا بإجابتي

متضرعًا متذللًا في المسألة

ما ضاق بابك خالقي عن حاجتي

ما خاب من سأل الكريم وأمّله)

لقد فهمتُ معنى ذبولي، وتصالحت مع ظروفي، واعتنيت بجراح قلبي جيّدًا ولفترة طويلة، تعاطفت مع ضعفي وبحثت طويلًا عن بصيص نور أشق به الطريق وحدي، لقد امتلأت كأس روحي وحان وقت التفريـغ، أتوق لولادة مبهجة بعد عسر المخاض..

لقد بحثت طويلًا عن مشروع صغير أبدأ به وفي الوقت نفسه كنت أتكلم كثيرًا مع نفسي عبر برنامج البودكاست، كانت كل الموضوعات تدور برأسي ولم أنوِ مشاركة أحد بها.. وجدت أن لصوتي صدىً وأن أحلامي تود الاستفاقة وأن الموضوعات الصغيرة بدأت تكبر وأن الأحاديث العابرة صار لها منصتون.. لم أشعر أن هذا يجعلني أتجمل وأجرب صوتي قبل البدء!

بل كنت أتكلم وكأن لا أحد يسمعني.. لم أجهز للأحاديث ولم أختر ضيوفًا لحلقاتي، لقد كنت الضيف والمتحدث والمعدّ ومهندس الصوت، لقد أخبرتهم عن مشاريعي الصغيرة التي لم تنجح ووصلت لي اقتراحات وها أنا أجربها ولم أنطفئ.

سعيدة بكوني أجرب وأنتظر... كمثل من يزرع بطينة روحه بذرة الأمل ويرى كيف تنمو بداخله، تتسلق وربما تزهر وربما تبقى فقط خضراء، لا نفع ماديًّا منها ولكنها تعطيه أملًا ليسقيها لعلها تزهر بيوم.

قلت مرة: (إنني أحاول وحدي يا صحب، فالحياة جديدة على شخص مثلي فقد ذاكرته وبدأ يتعرف على نفسه من جديد) وجدت هناك من يريد أن يسمعني بحق وهناك من يريد أن يشاركني حلمه وهناك من قدّم لي فكرة كانت برأسه لأشهر طويلة وهناك من أخبرني أنه يود اللقاء بي،

وهناك من كتب أنه بحاجة لفقدان ذاكرته فكيف هي الوصفة السحرية لهذا!

فحديث واحد كان له وقعٌ مختلف من شخص لآخر، حسب ما ترجو كل نفس وحسب ما تهوى وحسب ما تعاني ربما.

فحديثي ربما لا يعني لك شيئًا لكني أثق أن هناك من يسمعني وكأنه يسمع حديث نفس، نحن نتشابه بخيباتنا وأوجاعنا وحتى أحلامنا، أكاد ألتقي بكم جميعًا.

لا تستهن بصوتك ولا تتنازل عن حديث بصدرك ولا تستمع يومًا لصداك، ما كانت العزلة يومًا حلًّا مثاليًّا، لقد بدأت مع إحداهن بمشروع أستطيع القول إن بوادره مبشرة.. هذه الشريكة جمعني بها صوتي الذي كنت أتحدث به وأحكي لهم عما أعانيه، عن أحلامي وأفكاري..

ألم أخبركم أن الصدى أحيانًا يكون على هيئة نافذة من نور؟!

الفصل الحادي عشر
(في بيتنا عروس جديدة)

لقد صحوت اليوم على صوت عال في المنزل وكأن هناك من يريد أن يهدم السقف فوق رؤوسنا، نهضت من فراشي مسرعة توجهت لغرفة أحمد فلم يكن في سريره، غرفة أحمد وغرفتي يفصل بينهما باب داخلي فقط..

اليوم هو يوم السبت يعني هذا أنه إجازة رسمية من العمل، إذًا أين هو الآن، كنت أود سؤاله عن الصوت هل هو من بيتنا أو من الجيران رغم أني واثقة أنه بجوار غرفتي وربما مقابل لها.

فتحت الباب على مهل ووجدت أحمد واقفًا أمامي مديرًا لي ظهره ويتحدث لأحد العمال ويطلب منهم أن ينجزوا هذا العمل خلال أيام، إنه جناح مها! هل تنوي مها تغيير غرفتها؟ لم تخبرني بهذا فهي بالعادة تحكي لي كل شيء.

بعد الظهيرة فرغ البيت من العمالة وخرجت من غرفتي كان المكان فوضويًا جدًّا بالحجارة المتناثرة وأدوات البناء وعلب الدهان التي أتخطاها بصعوبة لأصل للطابق السفلي.

إنها حياة أمامي مباشرة ومعها كوب من النعناع المغلي أكاد أشتم رائحته التي تصيبني بالغثيان، تتبسم بطريقة استهزاء وتقول بصوت عالٍ لتسمعني أنا والجميع ولكن لا أحد غيري واقف أمامها..

- نعتذر للإزعاج فنحن نجهز لعروسنا الصغيرة الجميلة.

وتضحك بصوت عال.

وقعت عيني على مها التي تقف عند باب المطبخ تنظر لي ثم تنزل رأسها وكأن بفمها كلامًا لا تستطيع قوله لي

رجعت مسرعة لغرفتي لم أشعر بالعقبات التي واجهتني في النزول بكل الفوضى والحجارة وعلب الدهان، لقد وجدت نفسي خلال لحظات بغرفتي وأتكئ على الباب من الداخل وأمسك قلبي الذي ينبض بشدة ويكاد يخرج من بين ضلوعي، أشعر بتعرق ورجفة بأطرافي..

أحاول أن أهدأ قليلًا ويتردد صوت حياة برأسي من جديد ويعتصر قلبي من جديد..

- أحمد سيتزوج إذًا بحبيبته خلود؟!

وتسقط دمعة من عيني

- أنا أعرف أنه سيتزوج بها يومًا ما

أحمد لم يمسّك لم يكن لك زوجًا، لم يحبك...

أحاول من جديد أن أضع حدًّا لمشاعري

- لكن أنا أحبه

يرتجف قلبي وتسقط دموع بلا شعور، أحضن نفسي وتخور قواي، أتكوّر عند باب غرفتي، أحتاج أن أغفو، أغفو فقط

أتجاهل صوت ابنتي وهي تطرق الباب ومعها مها، كنت أسمع صوت مها ولا أعي ماذا تقول، كان صوتها بمثابة صدى يتردد داخل رأسي.

لقد أكملت بقية اليوم خارج اللاوعي لا أذكر بالضبط ماذا فعلت أو بماذا أشغلت نفسي ،لكني أمضيته فوق سريري وعيني معلقة على السقف ولا شيء آخر سوى صوت نبضي.

صباح اليوم التالي تصالحت مع صوت الطرق والضجيج والإزعاج وحتى مع صوت أحمد وهو يتابع بلهفة مجريات الأمور، لقد نام أمس نومًا عميقًا لقد كان فاغرًا فاه ولم يبدل ملابسه أو حتى ينزع حذاءه وكعادته حينما يكون متعبًا وكعادتي أقوم بخلع حذائه وتغطيته، لم أسأله يومًا عن سبب تأخره إلا من اشتياق ولا عن سبب تعبه إلا من خوف وربما حبّ، لم أكن أفعل ما تفعله الأمهات إلا من حنان ولم أكن أفعل كل هذا من حب بل كان من عشق، كنت أحب أن أتأمل وجهه وهو نائم، فبعد أن أغطيه أجلس أتأمله طويلًا ودون مساس... كان شيءٌ يدفعني من الداخل له ولكن كل شيء خارجي بمظهري كان جامدًا جدًّا.

للمرة الأولى أغطيه وأنا أبكي، تلك الدمعة التي يسبقها تنهد تكون موجعة جدًّا ودون صوت، هي مجرد أيام وسيبدل سريره وينتقل لغرفة أخرى، لزوجته الحقيقية التي ستنام إلى جانبه وتشاركه اللحاف ذاته.

كان يومي صامتًا جدًّا، لا موضوعات تقال عندي.. أجاوب بقدر السؤال

- مُتعبة؟

يسألني أحمد ونحن نتشارك الغداء مع أختيه وابنتي

تجيب حياة:

- تحترق...

وتضحك

ألتفت إليها بصمتي المعتاد ، في بعض الأحيان لا تجد ردًّا ليس لأنه لا كلمات لديك ولكن بالفعل أنا أحترق يكمل أحمد:

- أنتِ من سيختار لي أثاث غرفتي الجديدة أثق بذوقك يا أم حنان

يتبسم ويكمل غداءه

لقد كانت لقمته كبيرة لدرجة أني غصصت بها، وربما حديثه كان ثقيلًا

بصوت خافت حاولت استجماع قواي قلت له:

- أتمنى هذا ولكن لدي الكثير من الطلبات أنت تعرف أن مشروعي الصغير جديد ويحتاجني كثيرًا ليقف ويكبر.

ابتسامتي المصطنعة كان يعرفها أحمد جيّدًا.

أكمل أحمد:

- بالتوفيق لك، بالواقع خلود اختارت الأثاث بالفعل ولكن لم يعجبني وقلت لعلي أجد شيئا محايدًا يعجبني ويعجبها

لم نتفق بعد.

ويبتسم وهو ينظر لي:

ترد مها:

- سأساعدك أنا يا أخي لا تقلق.

وتقطع حياة الحديث لتقول:

- لدي صديقات أود دعوتهن لحفل زفافك يوم الخميس القادم.

كنت أعرف أن حياة تود إخباري بيوم الزواج لا أكثر يرد أحمد بارتباك:

- لا مجال للدعوة فالزواج مختصر جدًّا بسبب الظروف الراهنة حيث تمنع التجمعات والعدد محدود، لا داعي للإحراج.

أخذ سكينًا وبدأ يقشر حبة البرتقال

تذكرت حديثي مع ابنتي وحبة التفاح، كنت أنظر ليده وهو يقشر وأقول بنفسي: كيف أرادني هو؟ كيف يتقبلني؟ بقشور أم بلا قشور؟ معصورة أم أنه لا بأس بي دون عصر؟ كيف سيستسيغ وجودي!

ربما هو يحب وجودي لكن لا بد أن هناك شيئًا يود نزعه ليحبني كما أفعل أنا.

القرار الذي يتأخر عن حينه، يجيء متهورًا بعد حين.

قررت الانتقال من بيت أهل ابنتي حنان، أخذت معي ابنتي فهي كل ما أملك، وجهزت حقائبي ومعها قلبي وحان وقت الرحيل..

لقد استأجرت شقة صغيرة تكفيني أنا وصغيرتي وبقية أيامي وأحلامي..

أمسكت مها بحقائبي وتوسلت بعدم المغادرة

- هذا منزل حنان وعليها أن تكبر بين أهلها بين عماتها وعمها، تذكري هي رغبة جدتها رحمها الله

- يكفيني تنفيذًا للرغبات يا مها

أقولها لمها وأبعد يدها عن الحقيبة.

- يا ورد أنتِ على ذمة رجل ولا يجوز خروجك من منزله!

- أين هو ذاك الرجل يا مها

كان هذا هو ردي الوحيد عليها، وقفت صامتة لا تملك ردًّا هي الأخرى عانقتها طويلًا فلقد كانت صديقتي التي ما فترت عن حرث ذاكرتي العمياء محاولة أن تجعلني أقف عند لحظة أعرف بها نفسي.

أخبرتها بعنوان سكني الجديد بعد إلحاح منها وطلبت ألّا تخبر أحدًا به، لأني أنوي الخلاص من كل شيء لأتفرغ لعالمي الصغير الجديد،

ولم أخبرها بما أنوي القيام به بعد.

حيث إني سأطالب بحق ابنتي بالإرث من تركة والدها لأضمن لها حياة مستقرة نسبيًّا، وتعليمًا جيدًا، ثم إننا بحاجة ماسة لهذا.

الفصل الثاني عشر
(من يمارس الغياب.. مارس معه بدورك اللامبالاة غير هذا.. أنت تؤذي نفسك)

يوم الجمعة من شهر أغسطس

شمس اليوم كانت أكثر إشراقًا، أشعر بارتياح في السكن الجديد، هناك خطط جديدة أنوي القيام بها اليوم، والكثير من المهام تنتظرني لأكمل حاجات تنقص شقتي الصغيرة، أتقلب على فراشي وأترك شمس الصباح تلفني بأشعتها اللطيفة ليشرق داخلي من جديد.

رنة رسالة بهاتفي

أتناوله ببطء وأفتح طرف عيني بتثاقل وإذا هي رسالة من حياة

عندما رأيت الإشعار منها عرفت أن الصباح لن يكون جيدًا كما توقعت، فهي لا تأتي إليّ إلا بالمنغصات المعتادة.

فتحت الرسالة:

(صباحية مباركة يا عروسنا)

ثم تليها رسالة أخرى:

(أوه... لقد غلطت كنت أنوي أن أرسلها لعروسنا الجديدة)

وتليها ضحكات

لقد كدت أنسى أن زواج أحمد كان بالأمس، فلقد انشغلت حقًّا، هذا الانشغال الذي يأتي لك رحمة من الله بك ليلهيك عما يكدرك، و يبدو أنه انشغل هو أيضًا فلم يتصل بي أو حتى يرسل رسالة ليعرف سبب تركي للمنزل، ربما لم ينتبه لهذا!

وربما لم تخبره مها بعد نظرًا لانشغاله وقرب موعد زفافه، لا تزال مها تحفظ جيّدًا البروتوكولات العائلية وتدرس الحفاظ على المشاعر، لا أعرف كيف هي وحياة أنجبهما رحم واحد.

هناك أشخاص كُثر مثل (حياة)، يحاولون تذكيرك بأوجاعك الصغيرة التي فررت منها مؤخرًا محاولًا البدء من جديد، وأن تنأى بنفسك بعيدًا عن كل منغص أو صوت من الماضي ورغم هذا يصلون إليك يدخلون أصابعهم النتنة في جرحك الذي أوشك على الاندمال والتخثر، لينزف من جديد ويتلوث ويصعب ضماده.

جراحي رطبة جدًّا، ولكن لا أسمح بالعبث بها..

فالحمد لله على تقنية (البلوك) تخرس الأفواه التي تحاول تنغيص يومك وحياتك، فالتجاهل وحده لا يكفي.

لم أتوان للحظة وأنا أغيبها بقائمة البلوك كقرار لا عودة فيه، أن تراعي ظروف الآخرين أنت مخيّر، لكن أن يتجرأ أحدهم ليستخدم صمتك ومسامحتك هذه له، فهذا تجاوزٌ أضرارُه جسيمة عليك، فلا تقتل نفسك بهدوء مميت كهذا.

أشعر برغبة لتسجيل حلقة اليوم عبر البودكاست بمناسبة مرور عام على فقداني لذاكرتي ربما ليست المناسبة التي تستحق الاحتفاء ولكن هي مناسبة تستحق أن تخلد بها مشاعري بعنوان (أفضل نسخة من نفسي)

أفضل نسخة من نفسي

مرحبًا مجددًا يا صحب، ربما صوتي غليظ بعض الشيء اليوم فعذرًا نمت أكثر من اللازم، لقد كان حلمًا أبيض فلم ألتق بوجه أحد، كمثل ذاكرتي

البيضاء، لقد أكملت عامًا منذ أن ماتت الآلاف من الخلايا يقول الطبيب المعالج إني تعرضت للاختناق وقلة الأكسجين ولهذا فقدت ذاكرة الأمد البعيد.

فالذاكرة تنقسم لثلاثة أقسام :

لحظية وقصيرة المدى وبعيدة المدى..

فاللحظية هي التي ترتبط بحواسك جُمَعَ وتُنقل لدماغك لتتكون الذاكرة القصيرة المدى، ثم تتحول الذاكرة القصيرة المدى للبعيدة المدى وربما تنتهي عند القصيرة وتتخلص منها.

لقد شرح لي الدكتور هذا واسترسل كثيرًا حتى إني حسبت أني سأنقله كما قاله واستغرق نصف ساعة في شرحه، ولكن وجدت أني اختصرتها بسطر واحد...هذا ربما ما يعنيني منها فالذاكرة التي رحلت لن تعود.

وحال الدكتور كحالي فيما لو استغرقت بشرح وضعي مع فقدان الذاكرة وكيف أعاني وكيف يمر الوقت دون ذاكرة، كيف هي غربة الروح وغربة المشاعر وخوف الحنين للفراغ، حينما تجد نفسك بلا مأوى متشردًا تتسول أحداثًا مضت تقتات على ماضيك لتعيش حاضرك بمعدة ملأى.

أستطرد بالشرح وأنزف دمعًا وأتساقط قهرًا، ثم أجد أنكم تصفونني بشطر واحد

(لقد فقدت ذاكرتها بحادث) لهذا لا أحد معنيٌّ بالتفاصيل الدقيقة للحكاية، نحن تهمّنا العناوين والموضوعات العريضة.

منذ عام تعرفت على القليل من الوجوه والكثير من الأحداث، لقد فُطر قلبي مراتٍ عديدة وجرحت مشاعري مراتٍ أكثر، لقد تعرفت على الفقد الحقيقي وجلست مع الحزن وتشرفت بمعرفة الأرق واصطحبتني الخيبة بنزهة خاصة وشربت كوب قهوة مع الحب ونمت بجانب الوجع..

منذ عام عرفت أن رحلتي في الحياة طوال السنوات التي مضت لم تكن مثالية جدًّا، وكأنني بطلة برواية خيالية تود الكاتبة أن تقتص من كل ضلع بي حتى تكملَ معاناتي للنهاية ويقرأني الجميع فتحظى بالكثير من القراء، الجميع لهم الوجع ذاته والحزن ذاته، نتشابه كثيرًا بهذا ولكن تختلف الأماكن والمسميات

أنا التي ولدت بوسط عائلة بها صبي واحدٌ وكومة بنات، في مجتمع يقدّس الذكر ويهمّش الأنثى، تربيت وكأني أربي نفسي، أرتق أيامي بعضها من بعض وأحاول أن ألبس ثوبًا يستر عيبي...فقدت النظر في عمر تسعة أعوام وصرت على رفّ الحياة لأعوام أخرى، كبرت وكبر معي حب فهد صديق الطفولة وعندما عاد لي النظر كان يوم عرسه وكأن الحياة تهنئني بعودة النظر وترسل لي الكثير من الدمع لتغسل عيني جيّدًا، لقد غسلتها بحق واتضحت لي الرؤية وعدت لمقاعد الدراسة التي فقدتها بإهمال الأهل، احتويت أختي حنان المصابة بالتوحد وأعنتُها على تربية ابنتها وطفحت من تنمر أختي جواهر وضقت ذرعًا من معاملة العمة زكية، وكان للقدر كلمته حينما جعل العمة تصاب بالزهايمر وأكون الحضن الذي يرعاها والصدر الذي تحمل كل هلوساتها، وتسقط المقصلة الأخيرة على شريط حياتي ويزفني والدي لمستشفى الأمراض العقلية ليتهمني بالجنون بحجة أنه الهروب المناسب من حكم العدالة على جريمة لم أرتكبها أبدًا..

وحينما صاحت العدالة ببراءتي أجد نفسي هاربة من جديد منه ليزوجني برجل لم أحبه ومصاب بطيف توحد أيضًا، وأمه من اختارتني له، رجل لم يختره قلبي ولا عقلي لأنجب منه طفلة جميلة ربما هي ثمرة ستزهر بالأمنيات يومًا..

آه يا لقدري الذي يلاحقني والأيام التي تسوطني بسياطها من جديد، وهذه المرة تسلبني الذاكرة التي أملك.. فاجعة وخوف وشرود وأحداث عني أنا أجمعها من أفواه متفرقة، موجع أن تسأل الجميع من تكون؟ ما هي ذكرياتك؟ أحلامك؟ وأهلك؟ وعدد إخوتك؟ والحي الذي لعبت بشارعه طويلًا ورجعت متعرقًا توبخك أمك لضياعك ثم تحضنك فرحة لعودتك، رائحة رغيف التنور من مخبز على زاوية الحارة وصوت صاحب حلوى القطن الذي يصيح بكل عصر ونجتمع حوله...

هناك أشياء من الصعب أن يذكرها أحد لك لأنها ذاكرتك وحدك التي لم تخبر بها أحدًا وبقيت عالقة بروحك، وحدها الأماكن قادرة على استرجاع كل هذا.

وتجد نفسك أخيرًا محاطًا بضوابط وأحكام تفرض عليك الزواج من رجل آخر لا تعرفه أيضًا، لأنه فقط يضمن لابنتك حياة هادئة بمنزل والدها، لا تشاركه حديث قلبك ولا يستطيع سماع نبضك رغم أني مع مرور الوقت عشقته جدًّا ولكن القانون الذي فرضه هو عليك يجعلك بعيدًا جدًّا، تتابع أحداثه وأفعاله وحركاته من بعيد.

هل جربت أن تشاهد مسلسلًا تلفزيونيًّا وتعشق شخصية البطل تعرف كل شيء عنه حتى حديث قلبه الذي تخمنه من نظراته وتتمنى أن يقع سريعًا في حب البطلة، رغم أن هذا ما سيحدث غالبًا..

هذا حالي مع أحمد لكن الفرق أني شخصية ثانوية بكل هذا المسلسل والبطولة الحقيقية هي لمن اختارها قلبه، لخلود.

وبعد هذا كله ماذا أريد يا ألله.

أود أن أخبركم يا صحب أني هربت بقلبي بعيدًا عن كل هذه المعركة التي لو بقيت أحارب بها لخسرت نفسي، فمعارك الحب غير مضمونة الفوز..

معارك الحب إذا لم يخضها الاثنان معًا فحتمًا هي لا تستحق الصراع، وأحمد رجلٌ ليس لي منذ البداية، ربما نزعُه من قلبي ليس بهين ولكن طلب الخلع من المحكمة كان بداية لهذا.

في هذا العام لقد حصلت على أفضل نسخة من نفسي، متجردة من كل ما سبق من ذاكرة وأحداث ستعيق سير أحلامي القادمة... وأنت أيضًا إن لم تفقد ذاكرتك بحادث ما فافعلها بنفسك، تخلص من ماضيك الكئيب وأحلامك المحبطة وحكاياتك الموجعة وخيباتك التي صفعتك كثيرًا.

حاول معي أن تصنع بنفسك نسختك الجديدة التي تسمو بها بعيدًا عما سبق، بعيدًا عن الخيبات وتجارب الحب الفاشلة، فالحب هو معضلتنا الوحيدة وهو الذي يجعل من تضحياتنا محض غباء، الحب يا سيدي إن لم يكن من طرفين يسعيان للهدف ذاته فكل تضحية تقدم على مذبحه هي غباء وإضاعة عمر لا أكثر.

لقد فررت بابنتي بعيدًا عن منزل والدها، والسبب هو ذاك الحب الذي لم أسمع له صدى خلف جدران كئيبة حتى بُحت حنجرتي من النداء والغناء.

المكان لم يتسع لي لا بقلب أحمد ولا بغرفته، لقد خرجت ومعي قرار الحياة من جديد، ومعي نفسي التي سأعيد صقلها وبعيدًا عن كل شيء..

وأنت متى وجدت أفضل نسخة من نفسك؟

وعند هذا السؤال انتهت حلقة اليوم بالبودكاست.

وتركت السؤال معلقًا. لقد كنت مجهدة جدًّا ولكن أشعر بارتياح لقد قلت كل شيء أود قوله وهذا يكفي لأشعر بهذا الشعور، فعندما تنوي طي صفحة ماضٍ لا بد أن تتكلم كثيرًا وكأنها المرة الأخيرة التي يسمح لك فيها بالكلام.

(لقد كنت محفوفًا بالسعة، ما بال الجدران تضيق بي، ما الذي أفتقد؟!)

أحمد.

منذ رحيل ورد افتقدت الشيء الكثير، الشيء الذي تشعر به ولم تدرك قيمته إلا بعد أن يختفي، لقد افتقدت صوت حنان وطلباتها الملحة، افتقدت تلك الأسرة الصغيرة التي أنتمي لها، والعائلة التي أتباهى بها، الاتصال الذي يتفقدني حينما أتأخر في العودة للمنزل، الغداء الذي يحضر بموعده ودون أن أطلبه، الشاهي بالطريقة التي أحبها بعد صلاة المغرب، وجبة العشاء الخفيفة والمتنوعة بكل مرة، ملابسي النظيفة المطوية والمجهزة للحمام ما قبل النوم، مواعيد علاجي التي تعرفها ورد وحدها.

لقد أصبت بالبرد ثلاث مرات بسبب تكشف الغطاء ليلًا ولم أجد من يغطيني، وحرارتي ارتفعت ولم أجد من يداويني..

لقد تعبت من المشكلات الصغيرة لأسباب تافهة... وأجهدتني الرغبات التي لا بد من تنفيذها مهما كلفني الأمر.

لم تكن خلود تلك الشابة التي أحببت.. فلقد كان لها وجهٌ مختلفٌ تمامًا وجهٌ لم يناسبني، لقد جاهدت من أجل أن تكون لي، وجاهدت من أجل زواجنا، لقد جعلت من زواجي بورد مجرد ورقة بناء على رغبتها وحتى لا أكسر قلبها لكني كسرت قلب ورد بهذا..

عرفت أن خلود طائشة أكثر من اللازم غير مبالية بحياتها الزوجية، متعلقة بالمظاهر الاجتماعية، دائمة الهروب من المنزل وكأنه سجن لها، دائمة الاختلاف مع أختيّ، كثيرة المشكلات مع حياة، للتو عرفت أن حياة لها أسلوب تنفيري لم أدركه مع ورد، فلقد كانت تتعامل مع المواقف بحكمة أكثر... كان هروب خلود يوميًّا ما بين المقاهي والحفلات التي لا تنتهي..

لا وقت عندها لي، افتقدت الحميمية معها، لا أعرف كيف لم تدلني أفعالها على هذا من قبل!

في مرضي عندما أصبت بفايروس كورونا والذي استمر لأسابيع لم تتصل خلالها سوى مرة واحدة وعندما كنت متعبًا جدًّا أغلقت الهاتف على أنها ستعاود الاتصال فلم تفعل، لقد كان شوقي هو من يبادر للسؤال عنها والاطمئنان عليها..

كانت جميلة جدًّا بالضحك والمزاح والوقت معها شهي ولا أود أن ينتهي، كثيرة الطلبات لكن كل شيء من حبي لها ينقضي وبالفور.

كنت أحادثها لساعات وعينا ورد ترمقانني من بعيد، تبتسم وتذهب لسريرها لتنام، لا أعرف هل كانت بالفعل تنام!

ما بالي الآن أتكلم عن هذا كله وفي هذا الوقت بالتحديد!

لقد مضى أشهر على زواجي، هل لأن رسالة المحكمة التي وصلت لي هي السبب؟!

هل طلب الخلع ذكرني بما أفتقده الآن!

لماذا لم تحدثني وتطلبه مني أنا؟ لماذا هذا الاختيار القاسي لكلمة خلع؟! ولم أنا متعجب طالما أنها لم تكن سوى زوجة على الورق وسينتهي الورق، ما بالك يا أحمد تحاول أن ترتب أوراقك من جديد وأنت من طلب هذا منها!

هل أفتقدها بالفعل؟!

كيف لروحك أن تعتدل..؟

كيف لها أن تستقيم..

أن تحيا وتجرب الزفير للمرة الأولى؟!

عندما تواجهه رغباتك ونزواتك، عندما تكون إنسانًا حقيقيًّا لا يشبه الذي كنت عليه في السابق..

عندما تستمع لصوت روحك الذي تشطر بداخلك..

عندما تكتشف للمرة الأولى أنك الأحمق الذي صار بطلًا، والصادق الذي تعلم الكذب

والنقي الذي تعلم الرسم وأول لوحة له كانت روحه..

لقد وصلت لوجهتي أخيرًا..

في صباح اليوم التالي وأنا متوجهٌ لعملي وجدت مها جالسة في غرفة طاولة الطعام تتناول فطورها وأسمع صوتًا ليس بغريب عني حاولت أن أركز وأنا أقترب أكثر من غرفة الطعام، إنه صوت ورد!

دخلت مستعجلًا والابتسامة تشق وجهي واستبشرت خيرًا بهذا الصباح الذي جاء بورد التي لم أقابلها منذ زواجي ومنذ خروجها من المنزل

- ورد

أقولها أول ما دخلت غرفة الطعام

التفتت إليّ مها ولقمة الساندويش بفمها لتهز برأسها بـ (لا)

الصوت لا يزال موجودًا إنها تتحدث دون توقف

وإذا بصوتها آتٍ من الجوال الذي أمام مها

- إنها قناة ورد الخاصة بالبودكاست أنا أستمع لها كثيرًا، ورد هذه أشعر أنها قطعة من الجنة فحديثها سلوان للروح.

تقولها لي مها وهي تبتسم

سحبتُ نفسًا عميقًا وقلت:

- انطلاقة جيدة... أعطيني رابط هذه القناة أو اسمها

أخذت منها اسم القناة الخاصة وركبت سيارتي مسرعًا ومها تنادي عليّ لأشاركها الإفطار ولكني متلهف لورد وصوتها وحديثها وماذا تود قوله للجميع .

(أفضل نسخة من نفسي)

آخر حلقة لها وكانت منذ أشهر، منذ تاريخ زواجي بخلود... سمعتها كاملة وكأني للمرة الأولى أستمع لورد وما تعاني منه، عرفت أنها تحبني وجدًّا وعرفت أيضًا أني قاسٍ ولا أستحق قلبها ولا أستحق هذا الحب العظيم ولا هذه المشاعر

لقد كرهت وجودي وكرهت كل تصرفاتي وكرهت كوني رجلًا أعمى يلهث وراء رغباته

لقد قررت أن أزور ورد

ولكن لا بد أن أكلمها أولًا، رفعت هاتفي واتصلت، إنه يرن ويرن إنها الرنة الخامسة هل هي نائمة؟ ربما كذلك

بعد دقائق عاودت الاتصال مرة أخرى.. يرن ويرن ثم مشغول

- هل يعقل أنها أنهت المكالمة؟!

لا، سأجرب في وقت لاحق فكيف أكلمها وأنا بهذا الاندفاع هي لا تزال زوجتي، أحتاج أن أهدأ فقط لأبرر عودتي وربما أبرر غيابي، لا أعرف بماذا أبدأ ربما سأخبرها أني أفتقدها وربما أني أشتاق إليها، سأحكي لها ما أشعر به دون حذف للرسالة هذه المرة، لقد حاولت أن أكتب لها ما أجد وما أعاني، وجل ما أشعر به هو فقدها والمساحة التي تركتها بروحي ولن يملأها أحد.

الفصل الثالث عشر

مهما شعرت... اقتل شعورك قبل أن يقتلك

إنه الاتصال الأول من أحمد منذ خروجي من المنزل فما قبلها كانت مجرد رسائل للاطمئنان على حنان وعليّ أيضًا، كانت رسالة كل شهر تقريبًا لقد كانت تصل لي رسائل ولكن محذوفة... بعض التقنيات ليست في مصلحتنا، كنت أود دائمًا معرفة المحذوف أكثر من المتاح.
اتصال أحمد هز غصن الحنين بداخلي للمرة الأولى أحتضن هاتفي وقلبي يرجف ثم استدركت معنى أن يتصل في هذا الوقت تحديدًا وبعد هذه الأشهر الطوال، لا بد أن هناك أمرًا ما استدعى هذا، لقد كان يشكو لي كل شيء بدءًا من مشكلاته بالعمل انتهاء باختلافه مع عامل المحطة.

كل الأشياء التي لا تعني لي شيئًا كنت أعطيها كل الاهتمام وكأنها شيء يخصني فهل تذكر أن للحديث بقية!

لقد كان أول اتصال، أنظر للهاتف مرة وأخبئه تحت الوسادة مرة وأضعه في الدرج مرة أخرى وأنا بحالة توتر وارتباك، اللحظات الأولى من الحنين يتوجب عليك فيها السيطرة وإلا ينفلت زمام روحك وتخسر كل الوقت الذي كنت تعاني وتقاتل بوحدتك من أجل الخلاص.

الاتصال الثاني كان معي قرار ألّا مزيد من الوقت ليهدر وأنهيته على الفور، أعرف بم يفكر أحمد، وكل ما أخشاه أن يزورني!

فيا رب هب مها كتمان السر فلا تبوح بمكان سكني الجديد له.

نصف ساعة مرت وربما أكثر بدقائق وإذا باب شقتي يطرق، نظرت من خلال العين الكاشفة وإذا بأحمد بحال مرتبكة ويحرك أصابعه وكأنه يجهز كلامًا طويلًا... لقد طرق الباب كثيرًا ولم أجب لقد كنت أنظر له طوال الوقت لكني لم أجب... لقد رأيته وهو يدير ظهره ويلتفت للباب ولم أجب.

لم أكن من قبل بهذا الضعف لكني تعلمت كيف يكون مصدر قوتي.. أحترم قراري الذي هو خلاصي وبه أحفظ كرامتي وروحي.

ليس كل من جاء منكسرًا شرعت له باب قلبي من جديد..

لقد كان كل شيء يوحي بأن أحمد منكسرٌ ويحمل الكثير من الكلام، الوقت ضائع الآن ولا مجال لهذا، فعندما طلبت الخلع أنا طلبته بكامل قواي الروحية وليس فقط العقلية، ربما هو من جاء بأحمد إلى هنا، يريد تتمة وصية والدته أن أبقى زوجة له... زوجة الورق

اتصلت بمها بالفور وبرأسي حمم لا تهدأ

- لماذا يا مها؟ أي سر قطعت لي العهد بحفظه!

ترد مها بعد موجة من التوبيخ

- وعليكم السلام

- أجيبي، لم أعطيت أحمد عنوان سكني الجديد!

- هو زوجك يا ورد وكان يلح بطريقة عجيبة لم أر أحمد بها

- ماذا كان يريد؟

- لا أعلم أعطيته فرصة لقول ما يريد، بالمناسبة أحمد أصبح يتابع حلقاتك بالبودكاست - وكيف عرف بها؟ منك مجدّدًا!

- سيعرف بكل حال فصوتك الآن بكل مكان وحلقاتك مطلوبة، ثم إني مشتاقة للصغيرة حنان لنتقابل غدًا ما رأيك؟

- لندعها ليوم آخر

- غاضبة مني وتعاقبينني إذًا؟

- لست كذلك، ولكن لدي مهام تنتظرني ثم نعم أنا غاضبة وحسابك عسير

تضحك هي

وأعض شفتي أنا

ويبقى السؤال عالقًا، ماذا كان يريد أحمد في هذا الوقت بالتحديد!

المدينة الفاضلة

لا بد أنك سمعت بها من قبل، بالحكايات والروايات وقصص الخيال، نحن نعيشها الآن وبالواقع حيث الجميع يدعي الفضيلة ويدعي الكمال.

لستُ منهم، أنا شخص أنهار وأتعب وأبكي ومثقوب بالعيوب، لدي الكثير من الصفقات والقليل الناجح منها، لدي قرارات خاطئة وغالبًا مصيرها الندم، لكني أحترم جدًّا قراري وعلى استعداد لتقبل أي نتيجة، أستمع للغير بكل ما أوتيت من إنصات وأحترم وجهات النظر لكن لا يعني هذا أني تقبلت كلامك أو أني سآخذ به!

أنا شخص ربما أبدو صامتًا لوقت طويل ومنعزلًا وهادئًا بمعظم الأحيان لأني اعتدت أن يكون مظهري ثابتًا رغم كل ما يحدث بداخلي، وربما أصرخ بلا سبب وأبكي إن اشتقت للبكاء وربما أضحك على نكتة سخيفة.

لا أحد يبدو كاملًا لأحد، عين النقص ترقبنا ومن كل اتجاه

هي قاعدة صغيرة أتكئ عليها في حياتي

(كرامتي فوق قلبي)

ثم نقطة آخر السطر.

(ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)

فالرضا بما قسم الله أصل عظيم في استقرار النفس وهدوء الروح وانشراح الصدرفتأ

تقول مها:

لم أر أحمد بهذا الحال من قبل ولا بهذا التشتت فلقد كان دائمًا يبدو قويًّا ومبتسمًا وصابرًا عندما تعركه الحياة اليومية، فلا شيء يعكر مزاجه وبالأصح هو يتخلص من كل شيء عندما يدخل للمنزل، لقد حاولت أن أعرف لم هذا كله وربما أعرف حينها سبب زيارته لورد وإلحاحه لمعرفة مكان سكنها الجديد.

لقد طلبت من زوجته خلود أن تعرف ما الذي أعيا أحمد ولكنها لم تلحظ أبدًا حاله وأخبرتني أنه بخير ولا داعي للشكوك فهو رجل ويعرف كيف يتخلص من هذا.

لم تكن قريبة ما يكفي لأعرف منها أو حتى لأطلب شيئًا آخر لم تكن كقرب ورد من أحمد... فلا تهتم بمواعيد عودته إلى المنزل ولا بطعامه أو تلبية أدق احتياجاته، لقد كانت كثيرة الخروج والانشغال بأشياء كمالية وليست أساسية.

لم أعرف ما بال أحمد حتى جاء ذاك اليوم الذي رأيته متكئًا في غرفة الضيوف بنور مطفأ وباب موارب ويمسك بهاتفه وصوت ورد يصدر من هاتفه برسائل صوتية يبدو أنها قديمة..

دخلت الغرفة، رفع رأسه ونظر لي وأغلق الهاتف ثم أرجع رأسه للخلف واتكأ وهو ينظر للسقف ويقول:

- هل تظنين أني ظلمتها؟ وأني سبب خروجها من المنزل؟

هل أنا قصرت ولم أحفظ الأمانة التي أوصتني أمي عليها؟ هل وجود حنان في منزل خارج منزل والدها وحياتها خارج نطاق عائلتها أنا ملوم به؟

لقد كنت صامتة وهو يوجه لي أسئلته دون أن ينظر بعيني، كنت أنتظره أن ينظر إليّ لأعرف ما خلف كل هذه الأسئلة التي جاءت متأخرة.

أكمل:

- ورد لم تجب على اتصالاتي لقد حاولت مرارًا ولم تجب.

حتى أني ذهبت لبيتها ولم يفتح أحد الباب، أنا أعرف أنها بالداخل ولكنها لم تجب

هل تظنين أنها غاضبة مني؟

أجيب بعد أن استدار لي

- وماذا تريد منها؟ دعها تعشْ بالطريقة التي تريحها

هي بخير

يرفع صوته مجددًا ويشير لصدره ويقول:

- تستريح مني!

- ربما

أجيبه بهدوء

- ثم لماذا أنت غاضب، ماذا تريد منها؟ أجبني

أنا سأخبرها بما تريد إن لزم الأمر، هل هناك داع ضروري لهذا؟!

يخفض صوته وينظر للأرض ويقول: - لا شيء ضروري

صمت دام عشر دقائق دون أن يتكلم أحد منا وبصوت خافت مخنوق يقول أحمد:

- أفتقدها يا مها، أفتقد ورد جدًّا

أنظر لعينه وكأني للمرة أولى أرى حجم حاجته لورد بالفعل كنت أحسب أن رسالة المحكمة بطلب ورد للخلع هي السبب وراء هذا كله، نحن لا نقدر قيمة الشيء إلا عند الهاوية، عند قرب زواله وغيابه دون رغبة منا.

ربما أحمد يحتاجها لأنه شعر بفراغ بعد غياب والدتي وورد وحدها من كانت تفعل له ما تفعل أمي، ربما تلك الحاجة وقتية وغير حقيقية...

لقد أخبرت أحمد بهذا وأوضحت له أن كل ما تشعر به هو لحظي وسيزول أنت لم تحب ورد وكل حاجتك لها هي أشياء افتقدتها وتريد عودتها، أشياء اعتدت عليها فقط

- أنا أحبها..

لم تجربي بعد ماذا أن تحبي شخصًا ويتلاشى من بين أصابعك مرة واحدة دون أن تتداركي فعل شيء له وكأنك تمسكين بحفنة من ماء.

أحمد لا يعرف كم حاولت أن أجمع الماء بيدي ولم يدرك معنى أن تحب شخصًا لم يحبك كما هو حالي مع سلطان وحال ورد معه هو.

يقطع حديث نفسي ويقول: - أنا عرفت قيمة وجودها، أنا أحتاجها بحياتي دفئًا، كل ما سبق افتقدته منذ خروج ورد ولكن مع زواجي أفتقد شيئًا أكبر، قدمته لي ورد دون مقابل..

أحتاج ورد ولا أفكر بطلاقها، هي لي وزوجتي.

- لك؟!

لقد عرفت من ورد أنك طوال عام كامل لم تمسها وبرغبتك!

- نعم لقد كان اتفاقًا بيننا.

- تقصد رغبتك أنت وهي وافقت عليها!

- نعم هو كذلك، فكيف لي أن أنام بسرير أخي وأفعل ما يفعله مع زوجته التي أصبحت زوجتي!

أنا أرى سعد كلما نظرت إليها، أسمع صوته بالغرفة حولي، أتحسس وجوده بكل مكان وبكل لحظة أخلو بها مع ورد، أرجوك افهمي هذا.

- هذه أعذار واهية لأنك كنت تعشق خلود وتبحث عن كل ما يرضيها، تحمل نتائج هذا.

- أرجوك مها ساعديني، لا أريد شيئًا سوى لقاء يجمعني بورد أود التحدث إليها

التحدث فقط.

لقد وعدته أن أفعل ما بوسعي، ولكن كيف أقنع ورد بهذا! ربما ستقتلني هذه المرة (أقولها في نفسي وأبتسم خائفة)

اعتقد ان كل شيء تفعله يحتاج لفن..

كيف تختار أصدقاءك، وكيف ترتب حديثك وكيف تصمت في المواقف التي تحتاج لصمت، كيف تختار شريك قلبك وروحك، كيف تضع حدًّا للامتنان مع الغير، وتتعلم لغة الحوار الهادئ، كيف تعبر للجميع عن رغباتك دون أن تهتك سر خصوصيك، كيف تحترم قراراتك التي من شأنها أن تغير حياتك...

كيف تجيد فن العزلة بعيدًا عن الأضواء التي لا تجد نفسك فيها، وكيف ترتقي عن الأحاديث المتداولة ولا تدخل بعراك يستهلك روحك من أجل الفوز به..

الحياة فن بكل تفاصيلها، هي لوحة ترسم بها نفسك، اختر ألوانك بعناية حتى لا تسأمها وتمزقها بعد حين..

تأملها طويلًا وكن فخورًا بها.

- أعطيه فرصة لتسمعي منه ما يريد

تقولها مها للمرة العاشرة وبردت قهوتها للمرة الثالثة وأعود بكل مرة فأسكب قهوة جديدة، لقد جاءت لزيارتي كعادتها ولكن هذه المرة كان الموضوع لا يتغير ولا يتجدد رغم صمتي الذي ظنته موافقة..

- هل أتصل عليه ليأتي الآن؟

تقولها وهي تنظر مباشرة لعيني، تتأمل الجواب من بين ملامحي التي لم تعط لها أملًا بعد.

- أخبريه بأن هذه العجوز لا تصلح له

كان هذا ردي الأول لها

- لكنك أحببته رغم هذا ألا تذكرين شوقك واهتمامك ومداراتك له وكأنه طفلك، ألا تذكرين قلقك حينما يتأخر، وخوفك حينما يمرض، ولهفتك حينما يعود من الخارج وكأنه قادم من سفر وغياب!

أبعد ما أحبك وبادلك هذا كله ترفضينه!

تبسمت لكلامها وقلت:

من لا يشعر بهذا كله في حينه، يكون مجيئه فيما بعد وبعد أن ينقضي، باهتًا

لقد هربت بقلبي وبطفلتي، بعد ما قدمت آخر ورقة لدي وآخر محاولة، لسنة كاملة أنا أمامه بكلي، بعينيّ، وحديثي ورجفة قلبي وأطرافي ولم يلاحظني لأن قلبه كان مع امرأة أخرى.

هو يريدني بعد ما جرب غيري، هو يفتقد الاهتمام لا الحب، هو يريد أنثى تهتم به فقط يا مها، وأنا لدي اهتمامات أكبر من الاهتمام برجل للتو عاد منهزمًا من معركة حب فاشلة، لأداوي جرحه وأواسي روحه، وعندما يبرأ جرحه ويستعيد عافيته سيبحث من جديد عن حب آخر.

أنا لست محطة يتكئ بها المتعبون والمخذولون

أنا بحاجة لمن أتكئ عليه بكل ما فيّ وليس العكس...

أخبريه أن ورد ماتت لتنتهي قصتي عنده، أنا الآن في مرحلة التعافي ولا وقت لدي لمزيد من الخسارات.

تركت مها قهوتها الباردة وخرجت دون أن ترد على كلامي، لقد كانت غاضبة لهذا، لكن لا أحد يشعر بما مررت به ولا أحد يعرف حجم ما تعاني إنها معركتك وحدك... لابأس يا صديقتي ستعرفين بيوم ما لمَ كان هذا ردي عليك.

الفصل الرابع عشر
(لديك رسالة)

لقد وصلت للمرحلة الثالثة من العمر وهي التي عادة تبدأ من بعد سن الثلاثين، أتساءل فيها ماذا سوف أترك من إرث يتذكرني به الناس، فلقد بدأت سابقًا بكتابة رواية وجدت صداها على حد قول مها، الآن أفكر أن أترك صوتي كإرث يتذكرني به الناس بعد رحيلي من هذه الدنيا، أتكلم به عن تجاربي ومعاركي مع الحياة، هناك من يحتاج أن يتعلم من عثرات الغير، ثم إنني سأتفرغ لمشروعي الذي بدأ يكبر بفضل الله وابنتي التي أوليها كل اهتمامي وليس كل نفسي.

هناك أشياء أهم من كوني أنثى تبحث عن نصف غير مكتمل بعد أن تعثر بها الحظ مرات عديدة ووصلت لعمر تستطيع فيه أن تكمل ذاتها دون مساعدة أحد

في الواقع لم أتجاوز بعد قلبي وها أنا أجاهد من أجل هذا، لا يزال وجه أحمد وصوته أمامي بكل صباح، ولا أزال أقلّب برسائله اليومية التي يرسلها لي وتبقى عالقة بدون رد، لقد كانت جميع توسلاته باهتة جدًّا لم يشعرني للحظة أنه يريد ورد لقلبه بل كان يريدها لحاجته، لشيء ينقصه هو بنفسه لا يعرف بعد ماذا يكون، لقد ربط كل شيء بحنان والوصية والعائلة والقبيلة وأشياء أخرى، لقد شكا لي كثيرًا عن الفراغ الروحي الذي يعيشه مع زوجته خلود، عن انشغالها وعدم اهتمامها وتغيرها تمامًا بعد الزواج، في الواقع لا أحد يتغير جذريًّا مثل خلود لكن هو أحمد نفسه لم يكن ينتبه لأشياء مهمة مثل هذه، لهذا صدقت مقولة الحب أعمى فلا يرى عيوبًا ويغفر كل الزلّات، وعندما ينتهي يظهر جليًّا ما كان قد عمي عنه.

لقد قررت أن أنهي هذا كله وأن أجعله يتوقف عن المراسلة بكل أسبابها التي لم تقنعني بعد

وأرسلت رسالتي الأخيرة له:

(عزيزي أحمد، الرجل الأول بذاكرتي الجديدة، والرجل الأول الذي رجف له قلبي وارتعشت أطرافي برؤية عينيه، الرجل الذي تمنيت أن يحبني بدون أسباب ويختارني دون إجبار، ويضحي بكل شيء من أجلي، الرجل الذي كنت أدعو الله أن يهبني قلبه وروحه، الرجل الذي تمنيت أن أمسك يده دون حاجز، أن أتحسس شعره وهو ينظر لعينيَّ أن أسمع كلماته وهو قريب مني ولا تفصلني عنه مسافة كافية لأن يجلس بها ثلاثة أشخاص ، الرجل الذي إن اشتكى من حمى أشعر بها بجسدي وكأن كل عروقي تمرض معه، وإن غاب يرتعد قلبي خوفًا، وإن غضب احتويته كطفل صغير عنيد، الرجل الذي نما حبه بداخلي على مهل لقد سقيته بدمع عيني حتى ارتوى وداريت غصنه حتى قوي وأزهر من روحي ولم ينتبه لهذا الحب أحد.

الرجل الذي شكا لي كل شيء ولم يسمع شكواي، والذي بكى من حزن ولم ير دمعي والذي انكسر كثيرًا وكنت عصاه التي يتوكأ عليها.

أنا الأنثى التي سمعت وشوشات غرامياتك ليلًا لحبيبتك التي تبعد عنك مسافات، وكانت شاهدة على كل الهدايا التي كنت تدسها لها، وكل بطاقات المعايدة التي كنت تكتبها...

أنا الأنثى التي كنت تستشيرها في اختيار أغاني الحب لترسلها لمحبوبتك وفي انتقاء قصائد الغزل لتغازلها بها وأي الهدايا تليق بها، أنا من كانت تعد لك كأس العصير وأنت تهم للخروج معها وتختار ملابسك لتبدو أنيقًا معها، أنا من كانت تبتسم رغم هذا ولم تسأل عن حال قلبها ولم تشكُ لك.

لقد مضى عام كامل تصحّر به قلبي وجفّ ينبوع عيني ورغم هذا لا أزال أنتظرك، أنتظر زوجي الذي باعد بيني وبينه اتفاق صوري، زوجي مع وقف التنفيذ من أجل امرأة أخرى، زوجي الذي اختاره لي القدر وقبل بي طوعًا لوالدته وليس لشيء آخر، زوجي الذي تعبت من انتظاره ورغم هذا كنت أنتظره.

الزوج الذي بدأت حياته من جديد، ووجبت مغادرتي أنا..

عذرًا أحمد لقد جئت متأخرًا وبعد أن انتهى كل شعور لك

(أحببتك قبل هذا وأيقنت أني أحببت رجلًا ليس لي.) كل شيء ينتهي الحب ينتهي والعلاقات تنتهي وركضك خلف رغباتك ينتهي ولكن بعد كل هذه المعارك التي تخوضها.

ماذا يتبقى منك؟!

البداية..

شعور مريح أن تصل لنهاية تذكر بداياتها وتكون قادرًا على تذكر كل ما سبق، من أحداث وخسائر وكوارث روحية وهزائم تعدها فرادى دون أن تبكي..

قادرًا على تذكر كل شيء كان له القدرة العجيبة ليخرجك بما أنت عليه الآن..

ليس من السهل أن تكون شخصًا بكل هذا الاتزان إذا لم تصقلك المواقف والأحزان وتهبك الحياة أعظم دروسها بالخذلان.

حينما تعلمك الحب والعطاء والإخلاص ولا تجعلك تعيشه كما تود.

الحياة التي كشفت لي حقيقة الحب وأن كل العشاق موتى يمثلون دور الحياة

شكرًا للمواقف التي كشفت لي وجوه الأشخاص الأقرب .. كنت تظنها حياة حقيقية وتجد نفسك في مسرحية تدعى الحياة، مسرحية فكاهية وربما تنكرية..

شكرًا لله أن منحني ذاكرة جديدة، متصالحة أنا معها، راضية بها، لأرتب وأهندم نفسي من جديد وأبدأ الحياة.

النهاية التي وصلت لها ومعي نفسي كاملة وقادرة على البدء من جديد..

ربما وحيدة هذه المرة، وربما معي نفسي..

تم بحمد الله

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَـاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

شروق مجديِ.
أشرف غالب.

وَرْد

لقد حصلت في هذا العام على أفضل نسخة من نفسي، متجردة من كل ما سبق من ذاكرة وأحداث ستعيق سير أحلامي القادمة ..

وأنت أيضاً إن لم تفقد ذاكرتك بحادث ما فافعلها بنفسك، تخلص من ماضيك الكئيب وأحلامك المحبطة وحكاياتك الموجعة وخيباتك التي صفعتك كثيرًا .

حاول معي أن تصنع بنفسك نسختك الجديدة التي تسمو بها بعيدًا عن الخيبات وتجارب الحب الفاشلة، فالحب هو معضلتنا الوحيدة .

الجوهرة الرمال

joalremal

JO_ALREMAL

jo_alremal

adabambie7

servicesbook1

services_Book

www.adab-book.com

t.me/twinkling4